جامعة جنوب الوادى

كلية الأداب بقنا

الشعر العربي الحديث

إعداد

أ.د/ محمد أبوالفضل بدران

الكلية/ كلية الآداب بقنا

الفرقة/ الرابعة

التخصص/ اللغة العربية

تاريخ النشر/ 2023/2022م

"أمير الشعراء

أحمد شوقى"

(ولد الشاعر أحمد شوقي في 1870 بالقاهرة وتوفي بها في 1932)

لم يكن حافظ ابراهيم مبالغا حين قال في حفل مبايعة أحمد شوقى أميرا للشعراء:

أميرَ القوافي قد أتيتُ مبايعا وهذى وفودُ الشرقِ قد بايعتْ معي

إذ استحق أحمد شوقي هذه الإمارة الشعرية بفضل ما أوتيه من فصاحة ألفاظ وبلاغة معانيه وصدق أحاسيسه وجمال رؤاه.

وقد اختلف الناس حول شوقي إلا أن جميعهم قد أجمعوا على تفرد شاعريته وتمكنه اللغوي وثراء قاموسه فشوقى لم يكن مقلدا في أدبه بل كان مجددا ولاسيما في المسرح الشعري الذى يعدّ من أوائل واضعي لَبِناته حيث تعددتْ موضوعات مسرحياته الشعرية بين العصور المختلفة محاولا إحياءها ونقد الواقع من خلال أقنعتها فقد جاءت "مصرع كليو باتره" ومسرحية علي بك الكبير ومسرحية مجنون ليلى ومسرحية أمير الأندلس ومسرحية "قمبيز" ليحتل- من خلالها- أحمد شوقي ناصية الشعر المسرحي الجاد الأخلاقى؛ وإذا كان شعر شوقى الغنائى قد مثّل عصر الإحياء فإن مسرحه الشعرى قد مثّل البناء الجديد.

ونجد التراث في المسرح الشعرى لدى شوقى وكيف مزج بين الغنائية والمسرح.

كما أن حياة أحمد شوقى وسفره إلى فرنسا وأثر دراسة الأدب الفرنسى قد انعكس على شعره، وكذلك قصائده الوطنية كما في رثائه لمصطفى كامل ومحمد فريد، ومشاركاته الشعب في آماله وآلامه ولاسيما بعد أن نفى الانجليز أحمد شوقى إلى اسبانيا بعد خلعهم الخديوى عباس في 1914 في بداية الحرب العالمية الأولى وقد ظل أحمد شوقى بالأندلس حتى 1919 وكيف أثرت هذه الفترة في ازدياد تلاحمه مع قضايا الشعب وتطلعه نحو أمة عربية اسلامية رائدة.

ويتجلى هذا الحس بعد عودته إذ ينشد:

ويا وطنى لقيتك بعد يأس كأنى قد لقيت بك الشبابا

وكل مسافر سيؤوب يوما إذا رُزق السلامة والإيابا

إن وطنية أحمد شوقى تتضح في أشعاره التى عرّض فيها بالمستعمرالبريطانى وفى مدائحه لأبطال مصر الشرفاء المكافين ضد المستعمر

خطونا في الجهاد خطى فساحا وهادنّا ولم نلق السلاحا

رضينا في هوى الوطن المفدى دمَ الشهداء والمال الُمطاحا

لقد أعاد شوقى الشعر الوطني وحاول مع زملائه من الشعراء أن يكون لهذا الوطن وجود ومعنى.

وقد عني أحمد شوقى بالتعليم ويبدو ذلك في قصائده الطوال حول دور التعليم في تغيير الحياة والأوطان نحو الأفضل كما يبدو من خلال رثائه للأميرة فاطمة اسماعيل التى تبرعت من أجل انشاء الجامعة المصرية.

وربما تساءل البعض عن مدى علاقته بالبيت الحاكم وعن أثر ذلك على شاعريته ايجابا أو سلبا و سأحاول تبرئته من تهمة لحقت- وما تزال- بشوقى وفي حاجة إلى إنصافه ميتا كما قال في رثائه لحافظ ابراهيم

قد كنت أوثر أن تقول رثائى يا منصف الموتى من الأحياء

وأود أن أتوقف حيال أوزان شوقى العروضية وعن ملاءمتها للغناء فقد غنت أم كلثوم تسع قصائد من أشعاره وسأتحدث عن اهتمام شوقى بالأغنية فقد كتب لها قصيدته الوجدانية الرائعة: "سلوا كؤوس الطلا..."

وغنت له قصيدته في مدح النبى صلى الله عليه وسلم بمناسبة ميلاده (ص) وكيف ضمنها أحمد شوقى الكثير من وطنيته ولاسيما في قوله عن النبى صلى الله عليه وسلم:

وما نيل "المطالب" بالتمنى ولكنْ تؤخذ الدنيا غلابا

وحينما غنتها أم كلثوم في نهاية الحرب العالمية الثانية وكان الشعب قد نهض مطالبا "بالمطالب الوطنية" التى تتمثل في جلاء الاستعمار ألفى الشعب أن أحمد شوقى قد استخدم "المطالب" ولذلك تحولت أم كلثوم إلى داعية من دعاة الجلاء، وصفق لها الشعب طويلا.. وغنت له بعد ذلك :

ريم على القاع بين البان والعلم" على نهج البردة كما غنت

"ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء

وغير ذلك من قصائد عبرت أم كلثوم من خلال صوتها المعبر عن كلمات شاعر متمكن ومبدع جميل.

إن الحديث عن أحمد شوقى هو حديث عن الشعر العربى الحديث عبر رحلته الطويلة وعن دور أمير الشعراء في إحياء الشعر من رقدته ليعبر عن الناس حزنا وطموحا وفرحا وصنع شوقى لنفسه حياة من الذكرى: أليس هو القائل:

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمرٌ ثانِ

badranm@hotmail.com

قال قيس بن الملوح:

وأجهشت للتوباد حين رأيتـه.... وكبر للرحمن حين رآني
وأذرفت دمع العين لما عرفتـه .... ونادى بأعلى صوتـه فدعانـي
فقلت له أين الذين عهدتهم ..... حواليك في خصب وطيب زمان
فقال مضوا واستودعوني بلادهم ..... ومن ذا الذي يبقى من الحدثـان
وإني لأبكي اليوم من حذري غداً ..... فراقك والحيـان مؤتلـفـان

وقال أحمد شوقي:

جـبـلَ التـوبـادِ حـيَّـاك الحيـا
وسـقـى اللهُ صـبـانـا ورعَـى
فيـك نـاغيـنـا الهوى فـى مـهده
ورضـعـنـاه فـكـنـتَ المُرضعـا
وعـلى سـفـحـك عـشـنـا زمـنـا
ورعـيـنـا غـنـم الأهـل مـعـا
وحـدَوْنـا الشـمـسَ فـى مـغربـهـا
وبـكـرنـا فسبـقـنـا المطلَعـا
هـذه الربـوة كـانـت مـلعـبـا
لشـبـابـيْـنـا وكـانـت مـرتَـعـا
كـم بـنـيـنـا مـن حـصـاهـا أربُـعـا
و انـثـنـيـنـا فـمـحـونـا الأربُعا
وخـطـطْـنـا فـى نـقـا الرمـل فلمْ
تـحـفـظ الريـحُ ولا الرمـلُ وَعـَى
لم تـزل ليـلى بـعـيـنـى طفـلةً
لم تـزد عـن أمـسِ إلا إصـبـَعـا

مـــا لأحـــجـــارك صُـــمـــا كـــلمـــا

هـاج بـى الشـوقُ أبـتْ أن تـسـمعا

كـلمـا جـئتـك راجـعـت الصِّـبـا

فـــأبَـتْ أيـــامُـــه أن تـــرجـــعـــا

قـد يـــهـــون العـمـــرُ إلا سـاعـةً

وتـــــهـــون الأرضُ إلا مـــوضـــعـــا

مُضناكَ جَفاهُ مَرقَدُهُ

للشاعر أحمد شوقي

كتب أمير الشعراء أحمد شوقي 16أكتوبر 1868 - 14 أكتوبر 1932 هذه القصيدة معارضة لقصيدة الشاعر علي الحصري القيرواني " 1029 – 1095 م"، التي مطلعها:

يا ليلُ: الصبّ متى غدُهُ أَ قيامُ الساعةِ مَوْعدُهُ

فقال أحمد شوقي:

مُضناكَ جَفاهُ مَرقَدُهُ وَبَكاهُ وَرَحَّمَ عُوَّدُهُ

حَيرانُ القَلبِ مُعَذَّبُهُ مَقروحُ الجَفنِ مُسَهَّدُهُ

يَستَهوي الوُرْقَ تَأَوُّهُهُ وَيُذيبُ الصَخرَ تَنَهُّدُهُ

وَيُناجي النَجمَ وَيُتعِبُهُ وَيُقيمُ اللَيلَ وَيُقعِدُهُ

وَيُعَلِّمُ كُلَّ مُطَوَّقَةٍ شَجَناً في الدَوحِ تُرَدِّدُهُ

فَعَساكَ بِغُمضٍ مُسعِفُهُ وَلَعَلَّ خَيالَكَ مُسعِدُهُ

الحُسنُ حَلَفتُ بِيوسُفِهِ وَالسورَةِ إِنَّكَ مُفرَدُهُ

وَتَمَنَّت كُلُّ مُقَطَّعَةٍ يَدَها لَو تُبعَثُ تَشهَدُهُ

جَحَدَت عَيناكَ زَكِيَّ دَمي أَكَذلِكَ خَدُّكَ يَجحَدُهُ

قَد عَزَّ شُهودي إِذ رَمَتا فَأَشَرتُ لِخَدِّكَ أُشهِدُهُ

بَيني في الحُبِّ وَبَينَكَ ما لا يَقدِرُ واشٍ يُفسِدُهُ

ما بالُ العاذِلِ يَفتَحُ لي بابَ السُلوانِ وَأوصِدُهُ

وَيَقولُ تَكادُ تُجَنُّ بِهِ فَأَقولُ وَأوشِكُ أَعبُدُهُ

مَولايَ وَروحي في يَدِهِ قَد ضَيَّعَها سَلِمَت يَدُهُ

ما خُنتُ هَواكَ وَلا خَطَرَت سَلوى بِالقَلبِ تُبَرِّدُهُ

مناجاة

للشاعر محمد مهدي الجواهري

يعد الشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري (26 يوليو 1903 – 27 يوليو 1997): واحدا من أهم شعراء العرب في العصر الحديث

أرقَبُ الصبحَ مَوْهناً

ودُجى الليلِ مَوْهنا

لا صدى هاتفٍ يَرِنُّ

ولا الجَرسُ مُؤْذِنا

وأُصالي على الطريق

وجوهاً .. وأعيُنا

ظَنَّةً أن تكونَ أنتِ

وحَسْبي تظنُّنا

إنما الحبّ جنّةٌ

كفؤها مَنْ (تجنّنا)

وإذا ما انتهى الهوى

فتنةً كان أفتنا

أنتِ يا مُرّة الطبا

ع ويا حلوةَ الجَنى

أنتِ يا من تركتنِي

بالجِراحات مُثْخَنا

لا وعينيكِ لم أَجِدْ

فيكِ للطعنِ مَطْعَنا

لا جناحٌ .. وإنْ مشى

الضرّ بي منكِ والعنا

كلُّ شوكٍ زرعتِه

ثمرٌ منكِ يُجتنى

بالذي صاغَ واعْتنى

وبَنى منكِ ما بنى

وتبنّاكِ "مقطعاً"

من نشيدٍ فأحسنا

والذي شاء أن يكو

ن لكِ القتلُ دَيْدنا

فترضَّاكِ بالضحايا

فُرادى .. وبالثُّنى

والذي لم يدِنْكِ إذْ

دانَ كُلاًّ بما جنى

حِلفةَ الصابرِ ارتضى

ما يُلاقي فأذْعنا

لو تتوجتُ بالدُّنَى

لم يكن عَنكِ لي غِنى

خُلق الوجدُ والأسى

ليكونا كما أنا

أغدا ألقاك
الهادي آدم
(شاعر سوداني (1927 - 2006

أغداً ألقاك يا خوفَ فؤادي من غدٍ
يا لشوقي واحتراقي في انتظار الموعدِ
آه كم أخشى غدي هذا وأرجوه اقترابا
كنت أستدنيه لكن هِبتُه لما أهابا
وأهلَّت فرحة القرب به حين استجابا
هكذا أحتمل العمر نعيماً وعذابا
مهجة حرَّى وقلباً مسَّه الشوق فذابا
***
أنت يا جنة حبي واشتياقي وجنوني
أنت يا قبلة روحي وانطلاقي وشجوني
أغداً تشرق أضواؤك في ليل عيوني
آه من فرحة أحلامي ومن خوف ظنوني
***
كم أناديك وفي لحني حنين ودعاءْ
يا رجائي أنا كم عذبني طول الرجاء
أنا لولا أنت لم أحفل بمن راح وجاء
أنا أحيا لغدي الآن بأحلام اللقاء
فأْتِ أو لا تأتِ أو فافعل بقلبي ما تشاء
***
هذه الدنيا كتاب أنت فيه الفِكَرُ
هذه الدنيا ليال أنت فيها العمر
هذه الدنيا عيونٌ أنت فيها البصر
هذه الدنيا سماء أنت فيها القمر
فارحم القلب الذي يصبو إليك
فغداً تملكه بين يديك
***
وغداً تأتلف الجنة أنهاراً وظلاّ
وغداً ننسى فلا نأسى على ماضٍ تولّى
وغداً نسهو فلا نعرف للغيب محلا
وغداً للحاضر الزاهر نحيا ليس إلا
قد يكون الغيب حلواً.. إنما الحاضر أحلى

الهادي آدم
(شاعر سوداني (1927 - 2006

أغنية من خشب

للشاعر اليمني /عبد الله البردوني

1999-1929

لماذا العدو القصيُّ اقتربْ ؟
لأن القريب الحبيب اغتربْ
لان الفراغ اشتهى الامتلاء
بشئ فجاء سوى المرتقب
لأن الملقن واللاعبين
ونظارة العرض هم من كتبْ
لماذا استشاط زحام الرماد ؟
تذكر أعراقه فاضطرب
لأن (أبا لهب) لم يمت
وكل الذى مات ضوء اللهب
فقام دخان مكان الضياء
له ألف رأس وألف ذنب
*** * ***
لأن الرياح اشترت أوجها
رجالية والغبار انتخب
لماذا الذى كان مازال يأتى ؟
لأن الذى سوف يأتى ذهب
لأن الوجوه استحالت ظهورا
تفتش عن لونها المغتصب
لأن المغنى أحب كثيرا
كثيرا , ولم يدر ماذا أحب
*** * ***
لماذا ركام يمر
ركام يلى دون أدنى سبب ؟!
ويحصى الطريق ... جدار مشى
جدار سيمشى , جدار هرب
ولم يمض شئ يسمى غريبا

ولم يأت شئ يسمى عجب
لأن الصباح دجى , والدجى
ضحى , ليس يدرى لماذا غرب
فلا الصدق يبدو كصدق ولا
أجاد أكاذيبه من كذب
*** * ***
لماذا ؟! ويمحو السؤال السؤال
وينسى الجواب اسمه واللقب
فتمضى القوارب مقلوبة
وتأتى وينسى المحيط الصخب
ويصحو الغرام يرى أنه
على ظهر أغنية من خشب

"...وَمَتَى القلبُ في الخَفَقَانِ اطمَأنْ ؟!"

أمل دنقـــل

الشاعر والإنسان

(1940-1983)

" آه ما أقسى الجدار

عندما ينهضُ في وجه الشروق

ربما نُنفق كلّ العمر كى نثقبَ ثغره

ليمر النورُ للأجبال مرّة

ربما لو لم يكن هذا الجدار

ما عرفنا قيمة الضوء الطليق "[1]

في أول صفحة من ديوان " البكاء بين يدى زرقاء اليمامة " لأمل دنقل تفاجئك هذه الكلمات التى تلخص إلى حد ما رؤيته للواقع العربى ومحاولة الشاعر تغيير هذا المجتمع ، وقد يشعر الشاعر أنه يحاول ثقب ثغرة ضيقة في جدار الظلم والفقر والخنوع في المجتمع العربى ؛ بيد أنه يؤمن أن هذه الثغرة البسيطة كافية لإشعار مَن في الظلام أن هنالك نورا وحرية يتمتع بها الناس الأحياء وليس الناس الأموات ، و هنا يحمل من التفاؤل ما يقضى على التشاؤم الذى شعر به ذات مرة فردد في انكسار :

" أفتقدرُ أن تنقذ الحقَّ ثرثرةُ الشعراء " [2]

لكنه يؤمن بغد أفضل ، ويدرك أنه شاعر لايحمل -كما قال - إلا قلما :

" أنا لا أحمل إلا قلما بين ضلوعى "[3]

---

[1] أمل دنقل : البكاء بين يدى زرقاء اليمامة ص 107 (الأعمال الشعرية الكاملة)ط .دار العودة ، بيروت ، ومكتبة مدبولي ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1985.

[2] أمل دنقل : العهد الآتي ص 314 (الأعمال الشعرية الكاملة)

[3] أمل دنقل : تعليق على ماحدث ص 238 (الأعمال الشعرية الكاملة)

وكم كان قلم أمل جارحا وكاشفا لكل الأقنعة التى يرتديها المجتمع حكاما ومحكومين ، ولذلك عاش طريدا ، ومات وحيدا .

لقد استطاع أمل أن يمتلك – كما أرى – عَقْلنة الشعر ، وأعنى بهذا المصطلح أن يعقلن الأشياء برؤية دون أن يدخل في شرك الخطابة أو النظم ودون أن يفقد الشعر بساطته وخصوبته وخياله الذاتى .. إنه يفلسف الأشياء – كما سنرى . فيقنعك برؤيته ، فتعيد التطلع والتأمل في الأشياء من جديد ، ويتركك مع هذا العقل الذى قال عنه أبوالعلاء المعري (363 – 449 هـ = 973 – 1058 م) :

"أيها الغِرّ إن خُصصتَ بعقلٍ فاتّبِعْهُ فَكُلّ عقــلٍ نبيُّ "4

وقد عانى كثيرا بسبب مواقفه وآرائه هذه مما جعل الإعلام المصرى يقف له بالمرصاد ويتجاهله تماما لدرجة أن الحوار الوحيد الذى نشرته له صحيفة الأخبار كانت قد أجرته الصحفية عبلة الرويني معه وقاومت – بسبب حبها للشاعر وإيمانها بموهبته – في تحقيق نشره ونُشر في1975/12/11 ، وتزوج أمل عبلة الرويني بعد ذلك.

وقبل أن ندخل عالم أمل الشعرى أود أن أتوقف حيال نشأته وأثرها على تكوين شاعريته .

سيرة أمل الشعرية :

وُلد أمل في 23 يونيو سنة 1940 بقرية القلعة التابعة لمركز قفط بمحافظة قنا (صعيد مصر) ، وكان أبوه مدرسا للغة العربية بمدرسة قنا الثانوية الصناعية وكان يقرض الشعر التقليدى ، ولديه مكتبة تراثية عظيمة وتُوفي والده في سبتمبر1950 ، ويكمل شقيقه أنس فصول الحكاية " كان أمل أكبرنا في العاشرة ، تليه شقيقتنا الوحيدة في الرابعة وكنت أصغرهم في عامى الأول ... وبوفاة الأب انقلبت الأحوال .... انفردت الأسرة بأحزانها بينما أصبحت مجالس الأهل في القرية تدور حول الميراث الضئيل الذى خلفه الأب ومن سيقوم بزراعته ؟ ومن الذى يستطيع أن يستفيد من المحنة ..... واضعا العراقيل في طريقنا لنبيع له بعضا من هذا الإرث بثمن بخس ، ولْيذهب هؤلاء الصغار إلى الجحيم .... في هذا الخضم كان الجميع من الأهل – بلا استثناء – ضدنا ، ضد هذه الأم العظيمة التى وقفت بأطفالها وحيدة "5

---

[4] المعري : (أحمد بن عبدالله بن سليمان ، أبوالعلاء المعرى) : لزوم ما لا يلزم جـ 2 ص 239 ،تحقيق إبراهيم الأبياري ، ط . دار الكتب الإسلامية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1402 هـ = 1982 م .

[5] أنس دنقل : شقيقي أمل دنقل ، مقال بمجلة "القلم " كلية الآداب بقنا ص 6 ، العدد الثالث ، أبريل 1994 .

هذا اليتم وهذه المعاناة انعكسا بشكل كبير على شعر أمل ، ولذا جاء شعره أشبه بالشكوى :

" هل عَرَف الموتُ فَقْدَ أبيه ؟ "[6]

وكأنه إعادة صياغة للبيت القديم :

لا أكرهُ الموتَ لكنّى أسائلهُ

هل ذقتَ ما أنتَ بالإنسانِ فاعلهُ ؟

ثم يكمل فصول المأساة التى عاشها صبيا ، وذاق مرارتها :

" هل لبسَ الموتُ ثوب الحدادِ الذى حاكه ... ورماه ؟

خصومةُ قلبى مع الله

أين وريث أبى؟

ذهب المُلك ،

لكنْ لاسم أبى حقٌ أن يتناقلهُ ابنُه عنهُ

فكيف يموت أبى مرتيْن .. ؟ "[7]

وتتردد هذه النغمة الشاكية في شعر أمل ، تقتله ذاكرته الملأى بالظلم الذى قال عنه المتبنى من قبل:

وظلمُ ذوي القُربى أشدّ مضاضةً

على النفسِ منْ وَقْعِ الحسامِ المهندِ

ولذا يقول أمل في قصيدته " سِفر التكوين " :

" ورأيت ابن آدم ينصب أسوارهِ حول مزرعة الله ،

يبتاعُ من حوله حَرَساً ،

ويبيع لإخوته الخبز والماء ،

يحتلب البقرات العِجافَ لتعطى اللبن ....

قلت : فَلْيكنِ الحبُّ في الأرضِ ، لكنّهُ لم يكنْ

أصبح الحبُّ مِلكاً لمن يملكون الثمنْ

.....

---

[6] أمل دنقل :أقوال جديدة عن حرب البسوس ص 345 (الأعمال الشعرية الكاملة)

[7] السابق

ورأى الرب ذلك غير حسنْ "8

ويتساءل في قصيدته : موت مغنية مغمورة "

" مَنْ يفترس الحَمَل الجائع

غيُر الذئب الشبعان

ارتاحَ الرب الخالق في اليوم السابع

لكنْ لم يسترحِ الإنسان "9

وتموت الأخت الوحيدة ويظل حضورها قويا في شعره ، ويتخذ منها رمزاً شفافاً للموت الذى ينساه الشاعر أو يتناساه ؛ ففي قصيدته " الموت في لوحات " تحتل أخته مكانا متميزا في القصيدة ولعله يؤثرها بالشعر بعد أن عجز أن يدفع عنها المرض والموت صغيرا :

" شقيقتى " رجاء " ماتت وهى دون الثالثة

ماتت وما يزال في دولاب أمى السِرّي

صندُلها الفضي !

صدارها المشغول ، قِرْطها ، غطاء رأسها الصوفي

أرنبها القطنى ..

عندما أدخل بهو بيتنا الصامت

فلا أراها تمسك الحائط ... علّها تقف

أنسى بأنها ماتت ...

أقول ربما نامت ...

أدور في الغرف

عندما تسألنى أمى بصوتها الخافت

أرى الأسى في وجهها الممتقع الباهت ...

وأستبينُ الكارثة " 10

---

[8] أمل دنقل : العهد الآتي ص 269 (الأعمال الشعرية الكاملة)

[9] أمل دنقل : البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ص148 ، (الأعمال الشعرية الكاملة).

[10] أمل دنقل : السابق ص 149 – 150

إننا لانستطيع أن نفهم شعر أمل دون الدخول إلى عالم الموت لديه ربما يستهويه الموت ، ويستحضره ، ويحاوره ، ولذلك في آخر قصيدة من قصائده وهى قصيدة " الجنوبي " تطِلّ أختُه ووجه أبيه :

" أتذكر مات أبى نازفاً

أتذكر هذا الطريق إلى قبرهِ

أتذكر أختي الصغيرةَ ذات الربيعيْن

لا أتذكر حتى الطريق إلى قبرها المنطمسْ

أوَ كان الصبىّ الصغيُر أنا ؟

أم ترى كان غيري ؟ " [11]

ولم تتوقف معاناة أمل في طفولته إذ انتقل إلى قنا ومنها إلى القاهرة ليعيش حياة الفقر والصعلكة ، ويفاجأ أن ظلم أهله جزء من منظومة الظلم الكبير في هذا العالم ، وهو الذى لجأ إلى التصوف في القرية عله يجد مهربا إلى عالم مثالى يخلقه بذاته كمتصوف ، ويقوده التصوف في صباه نحو تحقيق ذاتيته إذ إن المتصوف يستطيع أن يكوّن العالم وَفق إرادته ، ويخلقه وفق رؤاه ؛ ولذلك كان كما تحكى زوجه عبلة الرويني "في صباه شديد التدين ... لا يترك فرضاً ... يلقى خطب الجمعة في المساجد ، ويحمل عهدا وطريقا على منهاج الشيخ إبراهيم الدسوقى "[12]

وفي رحلة أمل في البحث عن اليقين الكامل الذى لايوجد يتجه نحو القاهرة ويحاول أن يلتحق بكلية الآداب ولكن الفقر يطارده فيهجرالدراسة والجامعة ويتجه إلى الشعر مصاحِبًا الفقر والمعاناة ، ويتحول صوته إلى قوة رافضة للخنوع ، ولذلك يقول : " أنا أعتبر أن الشعر يجب أن يكون في موقف المعارضة حتى لو تحققت القيم التى يحلم بها الشاعر ، لأن الشعر هو حلم بمستقبل أجمل ، والواقع لايكون جميلا إلا في عيون السذج "[13]

ويعرف أن مواقفه سوف تدفعه إلى المعاناة ، لكنه كشاعر يمتلك الموهبة والقدرة على التعبير يرفض أن يتحول إلى شاعر الأمير.

ويصدر أمل دواوينه :

---

[11] أمل دنقل : أوراق الغرفة (8) ص 9 – 10 ، ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،1983.

[12] عبلة الرويني : الجنوبي أمل دنقل ص 15 ، ط . دار الصباح ، الكويت ، القاهرة ، 1992م

[13] أمل دنقل : (حوار مع أمل دنقل ، صحيفة الأخبار ، القاهرة ،1975/12/11)

- البكاء بين يدى زرقاء اليمامة.

- مقتل القمر.

- تعليق على ماحدث .

- العهد الآتى.

- أقوال جديدة عن حرب البَسُوس.

لكن يظل ديوانه " البكاء بين يَدي زرقاء اليمامة " نقطة تحوّل في حياته الشعرية إذ إنه قد صدر متنبئًا بما حدث في مصر من هزيمة في حرب الأيام الستة في 1967 ولكنه بعينيه الشاعرتين يحلل أسباب الهزيمة التى يجعل فيها فقدان الحرية العامل الرئيسى للهزيمة ، وينتقل أمل بهذا الديوان من صفوف الشعراء الشبان إلى الشاعرالرئد ، وتلتحم قصائده مع الناس البسطاء وتتردد على الألسنة ، ويتحول شعر أمل إلى أنشودة يرددها الناس في كل مكان ، فشعره لايكتبه للمثقفين فقط لأنه ضد وضع الشعر في جو الغموض والدهاليز البلاغية بل يجب أن يكون الشعر مرتبطا بالناس كما عبر أمل نفسه في ندوة لمجلة " فصول " :

"تحول الشعر الحديث الى شعر مثقفين في حين ان وظيفته الأساسية هى في ارتباطه بالناس ، وقد كان إنتصار الشعر الجديد منذ البداية راجعا إلى ارتباطه بالناس وتجاوبهم بالتالى معه "14

وارتبط الناس بشعر أمل ، لكن الحكومات – آنذاك –كانت تخاف هذا الشعر الذى بدأ ينتقل كالنار وسط الهشيم ، وراحت تحاصره فهو ممنوع إعلاميا لايُذكر إسمه ولا شعره ولاصورته في الصحف والمجلات والإذاعات وقنوات التليفزيون ، فراح ينشر قصائده ودواوينه في لبنان ولكنها كانت توزع سرا في مصر ، بل إن قرارات المنع أسهمت – علىعكس ما توقعوا – في شهرته .

لكنه عاش فقيرا ، فليس لديه مسكن ، وليس لديه وظيفة تدرّ عليه دخلا ، وعندما عُين في منظمة التضامن الأفرو/أسيوى لم يتجاوز مرتبه ثلاثين جنيها ، وعندما أحب أمل عبلة الروينى الصحفية بالأخبار وأراد أن يتزوجها ذهب إلى أهله يطلب منهم مساعدته ، ولكن طلبه هذا قوبل بالرفض مرة أخرى بعد أن استولوا على ميراثه ، ولكنه يكافح حتى يتزوج عبلة في 1979 ولكن بعد شهور تسعة يكتشف أمل أنه مصاب بالسرطان الذى يتضاعف بسرعة وهو لايملك طعامه فكيف يملك علاجه

---

[14] أمل دنقل : مجلة فصول (عدد قضايا الشعر المعاصر) المجلد الأول العدد الرابع ، يوليو1981م

، ويقيم أمل في مستشفي معهد الأورام التابع لجامعة القاهرة في الغرفة رقم 8 منذ فبراير 1982 إلى يوم رحيلة في الحادى والعشرين من مايو 1983 .

وتجمع زوجه عبلة الرويني وصديقه الناقد الدكتور جابر عصفور آخر ما كتبه أمل طوال فترة المرض والإحتضار وينشرانه في ديوان يحمل إسم : " أوراق الغرفة 8 "

وقد عرفتُ الشاعر أمل دنقل في أواخر حياته في صيف 1981عندما ذهبت إليه بصحبة القا ضى أبو ابرهيم وكان من أصدقائه وكان أمل قد تزوج بعبلة "وأخذ أمل يتصفح قصائدى التنكنت أنشرها في ذلك الوقت في مجلة " الكاتب "وأخرج أمل قلما وراح يعدّل في أشعارى ويعجب بجملة ولاتعجبه جملتان ثم راح يشرح لى تجديده في الشعرالحديث ولاسيما في قصيدته " أيلول " التى جعلها على مستويين متوازيين .

ثم زرته مرات في المستشفي وكانت ذاكرته تحفظ كل الأشياء وفي أواخر 1982 زرته بينما كنت في الجيش بمدينة السويس ، ووجدته شخصا آخر فقد كان المرض قد أنهكه ؛ وبدا لي الموقف محزنا لكنه ناداانمبتسما وأخذ يتحدث معى بصعوبة واضحة ، وكان هذا آخر العهد به.

ولقد كانت حياة أمل دنقل جزءا من شاعريته ، وعاملا من عوامل تفتح موهبته ورغم إقامة أمل في القاهرة إلا أنه كان يحن إلى قريته " القلعة " حيث كان يكره القاهرة /المدينة:

" يا أبناء قريتنا أبوكم مات

قد قتلته أبناء المدينة

.....

تركوه فوق شوارع الإسفلت والدم والضغينة "[15]

وكذلك قوله:

" الناس هنا – في المدن الكبرى – ساعات

لاتتخلف ، لاتتوقف ، لاتتصرف

آلات ... آلات ... آلات "[16]

---

[15] أمل دنقل : مقتل القمر ص 68 (الأعمال الشعرية الكاملة)

[16] السابق ص 78

وفي " بكائية ليلية " يقول أمل :

"نتوه في القاهرة العجوز، ننسى الزمنا

نفلت من ضجيج سياراتها ، وأغنيات المتسولين ،

تظلنا محطة المترو مع المساء .... متعبين

وكان يبكى وطنا ... وكنت أبكى وطنا "[17]

وقد صاحب أمل عددا من الشعراء منهم صلاح عبدالصبور وأحمد عبدالمعطى حجازى وحسن توفق وعبدالعزيز المقالح وغيرهم كما صادق القاص يحيى الطاهر عبدالله والأديب يوسف إدريس الذى افتتح حفل تأبين أمل قائلا:

" لن أطلب منكم الوقوف حدادا ،

فنحن إذا وقفنا حدادا ، سيكون الحداد على عصر طويل قادم ؟"[18]

ملامح شعر أمل :

يمتلك أمل ناصية اللغة ، يطوعها حسبما يشاء ، وهذا أضفي على شعره بساطة التراكيب اللغوية دون الوقوع في الخطابية النثرية ، والبساطة كما يذكر الدكتور عبدالعزيز المقالح كما فهمها جيل أمل دنقل "لاتعنى التمرد على القواعد اللغوية أوالخروج عن الأسس الفنية للكتابة ، ولاتعنى الرقة والتبسيط ، إنما تعنى تلقائية التناول أو عفوية التعبير ، والإبتعاد عن خشونة اللفظ إلى خشونة المعنى ، وتحويل العمل الأدبى من شعر لايَفهم محتواه سوى نفر قليل من الكتاب إلى أنشودة جماعية وإلى لغة فن ووجدان"[19]

ولقد تعددت ملامح شعر أمل مما يجعل حصرها مستحيلا ، فملمح اليُتم مثلا لعب –كما رأينا – دورا كبيرا في شعره ، وموت شقيقته الوحيدة ، وقد انعكست طفولة أمل في شعره بحيث صار التذكّر لديه يعنى تذكر الألم والمعاناه ولعبت الذاكرة دورا كبيرا في تشكيل إبداعة فالذاكرة " جزء من عمله الإبداعى ، فهو لايضع تخطيطات أولية لقصيدة ثم يتابع

---

[17] أمل دنقل : البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ص 108 (الأعمال الشعرية الكاملة)

[18] يوسف إدريس : إفتتاحية كتاب الجنوبي ص 7

[19] د. عبدالعزيز المقالح : مقدمة أعمال أمل دنقل الشعرية الكاملة ص 31

تطورها .. ولكنها تتراكم في ذاكرته يوما بعد يوم ،وسنة بعد أخرى دون مسودة واحدة ...

إن كل شيء محفور في ذهنه المتقد ، فأمل شاعر .. بل رجل لاينسى "20

ولقد كان حضور أمه في الشعر حضورا واضحا ، فالأم لديه هى تلك المرأة الصعيدية التى وقفت تكافح من أجل أبنائها وضحت كثيرا من أجلهم ، ولقد تسربت أمه في شعره :

" تسألنى أمى بصوتها الخافت

أرى الأسى في وجهها الممتقع الباهت

وأستبين الكارثة "21

وهذا الصوت الخافت حقيقة كما تذكر زوجة عبلة الروينى " يجلس مع والدته طوال اليوم ساعات طويلة دون ان يقيم حوارا معها .. وهى أيضا لاتلفظ كلمة واحدة أو تبادلة الحديث

– أمل لماذا تظل صامتا ، ولاتكلم أمك كثيرا ، بل كيف تتبادل معك هذا الصمت طويلا ؟

– إن هذا أجمل مافيها ... إنها تعرف كيف تصمت معى " 22

ثم تظهر الأم في قصيدة لاوقت للبكاء التى قالها في رثاء جمال عبدالناصر بعد أن كان قد إختلف معه حيا بعد هزيمة 1967 ، وفيها يقول :

"وأمى التى تظل في فناء البيت منكبة

مقروحة العينين ، مسترسلة الرثاء

تنكث بالعود على التربة

رأيتها الخنساء

ترثى شبابها المستشهدين في الصحراء"23

---

[20] عبلة الرويني : الجنوبي أمل دنقل ص75 (الأعمال الشعرية الكاملة)

[21] أمل دنقل : البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ص150

[22] عبلة الرويني : الجنوبي أمل دنقل ص69

[23] أمل دنقل : تعليق على ماحدث ص 257 – 258 (الأعمال الشعرية الكاملة)

وقد يكون الشاعر قد حمّل الأم رمزية الأرض والوطن حيث رآها الخنساء 575؟- 664 ؟ تلك المرأة العربية التى تعد أفضل شاعرة عربية ، وقد اشتهرت بشعر الرثاء عندما قُتل أخواها معاوية وصخر ، ثم أُسلمت وقتل أولادها الأربعة فيمعركة القادسية ، بل إنه يرى أمه في كل الأشياء :

" أتحسس وجهك

هل أنت طفلتى المستحيلة أم أمي الأرملة "[24]

كذلك تظهر الطفولة في شعر أمل وتتردد مفردات الطفولة: طفلي ؛ طفولة ؛ الرضيع ، طفله ؛ الطفل ؛ طفيلة ، الأطفال ، طفيلها ، مرح الطفل ؛ أطفالي ثم طفلتي المستحيلة أكثر من أربعين مرة في شعره ، ولعل مردَّ ذلك يعود إلى حنين أمل إلى طفولته ، بل إن آخر قصائده " الجنوبي " إبتدأها بتساؤل حزين :

"هل أنا كنتُ طفلا

أم أن الذى كان طفلاً سواى ؟

.....

.....

أوَ كان الصبى الصغير أنا

أم تُرى كان غيري ؟

أحدق ...

لكن تلك الملامح ذات العذوبة ....

لاتنتمى الآن لي

صرتُ عنى غريبا

ولم يتبق من السنوات الغريبة

إلا صدى اسمى "[25]

وفي أحاديث أمل دنقل مع الصحف والمجلات العربية[26] تبدو الطفولة ملمحا رئيسيا في أحاديثه وفي عدم التزامه بحزب معين طوال حياته ،

---

[24] أمل دنقل : العهد الآتي ص 290 (الأعمال الشعرية الكاملة)

[25] أمل دنقل : أوراق الغرفة 8 ص 9 ، 10

[26] أنس دنقل : أحاديث أمل دنقل ، القاهرة ، 1992 .

فقد عاش كما يرى الدكتور يوسف إدريس "شاعرا وكفي .. يريد أن يجعل الواقع شعرا ، والشعر واقعا وتلك هى الإستحالة ، لذلك كانت رؤيا كلها رؤيا مستحيلة"[27]

لكن الملمحين الرئيسييْن في شعر أمل هما : الحرية والموت :

(1) الحرية :

منذ أول قصيدة في شعر أمل حتى آخر جملة في شعره يبحث أمل عن الحرية التى لاتوجد إلا من خلال العدل ، يبحث عن الحقيقة التى لاتقبل الشك ، ففي قصيدة الجنوبي :

" هل تريد قليلا من الصبر ؟

– لا

فالجنوبي ياسيدى يشتهى أن يكون الذى لم يكنه

يشتهى أن يلاقى إثنتين :

الحقيقة والأوجه الغائبة "[28]

وفي بحثه العبثى عن الحقيقة يصطدم بالظلم وبالحرب ، وبالفقر ، والطبقية المتفشية في المجتمع

" فقد طغى اللصوص في مصر بلا رادع"[29]

، والحرية لدى أمل مرتبطة بالتخلص من كل المعوقات ، وربما تأثر في ذلك بالفيلسوف نيتشه Friedrich Nietzsche في إيمانه المطلق بالإنسان ، لكنه عندما يرى حال الأمة العربية في 1967 يخلق شخصيات معاصرة متكئة على شخصيات ترائية متشابهة يحمّلها الأحداث العصرية على نحو مافعل مع عنتره بن شداد وهو أحد الشعراء السود في العصر الجاهلى والذى عاش في الفترة (525؟ – 615؟) وكانت أمه عبدة حبشية ، وطمح إلى الزواج من إبنة عمه " عبلة " لكن حاجز اللون والطبقية حال دونها ، ولم تشفع شهرة عنترة كفارس قوي وشاعر متمكن حتى يرتقي إلى طبقة السادة ؛ ولكن عندما تُغير القبائل على قبيلة عبس ينادى فوارسها : "عنتر .... أَقْدِمْ" فيوظف

---

[27] د. يوسف إدريس : مجلة أدب ونقد ، يناير ، 1984 م

[28] أمل دنقل : أوراق الغرفه 8 ص 18

[29] أمل دنقل : البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ص 190

أمل هذا التراث ويتخذ من عنترة رمزا للشعب العربى الذى يقول أمل على لسانه :

" فقد سكتُّ سنةً فسنة

لكن أنال فضلة الأمان

قيل لي : إخرس فخرست

وعميت .. وائتممت بالخصيان !

ظللت في عبيد " عبس " أحرس القطعان

أجتزُّ صوفها

أردُّ نوقها

أنام في حظائر النسيان

طعامى : الكسرةُ والماء وبعض التمرات اليابسة

وها أنا في ساعة الطعان

ساعةَ أن تخاذل الكماةُ والرماةُ والفرسان

دُعيتُ للميدان

أنا الذى ماذقتُ لحم الضأنْ

أنا الذى لاحول لى أو شأن

أنا الذى أُقصيتُ عن مجالس الفتيان

أُدعى إلى الموت .. ولم أُدع إلى المجالسة !!"[30]

ويوظف أمل التراث في شعره وليس التراث العربى فقط بل التراث الإنسانى العام فنجد في شعره رع Ra = Re إله الشمس عند الفراعنة ، ويوظف أوديب في شعره أيضا و نجد سيزيف ، ونرى سبارتكوس Spartakus الذى قاد حرب العبيد (73 ق.م) حتى قُتل ويوظف سالومى Salome ؛ وزرقاء اليمامة تلك الفتاة العربية ذات العينين الجميلتين الحادتين اللتين كانت ترى بهما عن بُعد جيوشَ القبائل المغيرة.

هذا التوظيف له دلالة واحدة في شعر أمل وهى البحث عن الحقيقة كمرادف للحرية ولذلك وُوجه أمل بالإتهامات لأنه بدأقصيدته كلمات سبارتكوس الأخيرة " بقوله :

---

[30] أمل دنقل : البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ص 123 – 124

" المجد للشيطان معبود الرياح

من قال " لا " في وجه من قال " نعم "

من علم الإنسان تمزيق العدم

من قال " لا " فلم يمت

وظل روحا أبدية الألم "31

ولم يفهم هؤلاء أن أمل لايتحدث عن الشيطان هنا بل يتحدث عن الثائرين الذين يوصفون بالشياطين من قِبَل الحكام الذين يرتضون بالشعب الخانع دائماً ، ولذلك يحاول أمل على لسان سبارتكوس Spartakus **أن يخلع العصابة التى وُضعت على عيون الشعب قائلا :**

" معلقٌ أنا على مشانق الصباح

وجبهتى بالموت محنية

لأنني لم أحنها حية!

يا إخوتى الذين يعبرون في الميدان مطرقين

منحدرين في نهاية المساء

في شارع الإسكندر الأكبر

لاتخجلوا ... ولْترفعوا عيونكم إليْ . !

لأنكم معلَّقون جانبى ... على مشانق القيصر

فلترفعوا عيونكم إليْ.

لربما إذا التقت عيونكم بالموت في عينيْ

يبتسم الفناء داخلي

لأنكم رفعتم رأسكم مرة "32

ثم يتنازعه الشك في المستقبل وهو الذى كان يؤمن بالمستقبل :

" لاتحلموا بعالم سعيد

فخلف كل قيصرٍ يموت : قيصٌر جديد "33

---

31 السابق ص 110

32 أمل دنقل : البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ص 110–111

33 أمل دنقل : البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ص 112

وفي توظيف أمل دنقل لابن نوح يفاجأ بالإتهامات مرة أخرى من تلك العقول التى تقرأ النص بنصف عين دون أن تُكمل فهمه ، ومغزاه وسياقه الشعرى.

فابن نوح كما تذكر الآيات القرآنية رفض أن يركب السفينة مع أبيه الرسول نوح عليه السلام عندما أتى الطوفان فغرق ؛ وتحكى الآيات القرآنيه هذا الموقف في قوله تعالى { وهيَ تجرِي بهمْ في موجٍ كالجبالِ ونادى نوحٌ ابنَهُ وكان في مَعْزِلٍ يابنى اركبْ مَعَنَا ولا تكنْ مع الكَافرين ، قال سآوي إلى جبلٍ يعصمني من الماءِ قال لاعاصِمَ اليومَ من أمرِ الله إلا مَن رحِمَ وَحال بينهُما الموجُ فكانَ منَ المُغْرَقين}34

لكن أمل ينظر إلى هذا الابن نظرة العاشق للوطن ففي قصيدته " مقابلة خاصة مع ابن نوح " يقول :

" جاء طوفان نوح

المدينة تغرق شيئا فشيئا

.....

كان شباب المدينة

يلجمون جواد المياه الجموحْ

ينقلون المياه على الكتفين

ويستبقون الزمن ..

يبنون سدود الحجارة

علّهم ينقذون مهاد الصبا والحضاره

علّهم ينقذون الوطن ..

.....

نتحدى الدمار

ونأوي إلى جبل لايموت

(يسمونه الشعب)

نأبى الفرار ، ونأبى النزوح !

.....

كان قلبى الذى نسجته الجروح

---

34 القرآن الكريم : سورة هود 11/ 42–43

كان قلبى الذى لعنته الشروح

يرقد – الآن – فوق بقايا المدينة

وردةً من عَطَنْ

هادئا بعد أن قال " لا " للسفينة

وأحب الوطنْ "35

إن أمل يتحدث عن التشبث بالأرض ، بالوطن ، وليس الفرار ، إنه يسعى إلى تحقيق العدل والحرية في الوطن

"قلتُ : فْليكنِ العدل في الأرض لكنه لم يكنْ

.....

ورأى الرب ذلك غير حسنْ "36

يصطدم أمل في بحثه عن الحريه بالظلم ، يتمنى أن يتلاشى الظلم من الأرض لكن ذلك حلم مستحيل ؛ وربما هذا الموقف يفسر لنا وقوف أمل ضد عملية الصلح مع إسرائيل .. هل لأنه كان يؤمن بحتمية الصراع حتى يتحقق العدل والسلام لجميع الأقطار العربية ؟ أو أنه كان يرى في وجود أساسيات إتفاقية الصلح مالايكفي لبناء سلام شامل وعميق بين مصر وإسرائيل ، فقد خرج أمل من المستشفي في نوفمبر1982 لحضور مهرجان حافظ شوقى ورُغم مرضه إلا أنه وقف ليلقى قصيدته " لاتصالح " التى كتبها في نوفمبر 1976 :

" لا تصالِحْ

ولو منحوك الذهب

أترى حين أفقأُ عينيْكَ ، ثم أثبّت جوهرتيْن مكانهما ....

هل ترى ؟

هى أشياء لاتُشترى !

.....

والذي اغتالنى ليس ربًّا ليقتلنى بمشيئته

ليس أنبلَ منّى ليقتلني بسكينته

.....

---

[35] أمل دنقل : أوراق الغرفة 8 ص 71 ، 75–76

[36] أمل دنقل : العهد الآتي ص 270 (الأعمال الشعرية الكاملة)

والذى اغتالنى محض لص

سرق الأرض من بين عيني "37

إننى لا أستطيع أن أقول أن أمل كان ضد السلام فلا يوجد شاعر يكره السلام ولاسيما إذا كان أمل كتب عن مأساة الحروب وعن اليتم والفقر ، فإن أكثر اللوحات المؤثرة في قصائده كانت عن تلك المومس التى تراوده عن نفسها ويكتشف أنها زوجة شهيد ! ولوحات الطفلة التى أستشهد أبوها في الحرب لاينساها القارىء ، أى أن أمل لم يكن شاعرا يحب العنف لكنه كان عاشقا للسلام المبني على العدل وهو الذى قال :"يا قاتلى إنى صفحتُ عنك"38

عندما نقرأ قول أمل :

" كل صباح أفتح الصّنبور في إرهاق ، مغتسلا في مائه الرقراق

فيسقط الماء على يدى دما"39

نرى مطاردة الدم لأمل حتى في الصنبور بل إن أمل يحكى لنا عن ليلة نزلها في أحد الفنادق ونزل معه غريب في الحجرة ذاتها :

" في الفندق الذى نزلتُ فيه قبل عام

شاركنى الغرفة

.....

وعندما رأى كتاب " الحرب والسلام "

بين يدى : اربدّ وجهُهُ

.....

وكان عائدا من الحرب بلا وسام

.....

وظل يروى القصص الحزينة الختام

.....

وحين ظنّ أننى أنام

---

37 أمل دنقل : أقوال جديدة عن حرب البسوس ص 324 ، 334 ، 335

38 أمل دنقل : البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ص113 (الأعمال الشعرية الكاملة)

39 أمل دنقل : تعليق على ما حدث ص 197

رأيته يخلع الساق الصناعية في الظلام !"40

إنه يمقت الحرب لكنها قد تكون طريقا لتحقيق السلام والحرية :

" توقفنى المرأة

في استنادها المثير على عمود الضوء

(كانت ملصقات "الفَتْح" والجبهة)

تملأ خلف ظهرها العمودا !

....

تسألنى إن كنت أمضى ليلتى وحيدا

وعندما أرفع وجهى نحوها سعيدا

أبصر خلف ظهرها شهيدا

....

أمضى بلا وجهة !!"41

إنه أمل دنقل ينظر إلى كل مشكلات العالم العربى من منظار ماخلفته الحروب ، وما خلفته أساليب القمع والإستبداد ، ولذلك فهو لايفرح بهؤلاء الذين يمرون في العرض لأنه يراهم بنظرته "هو":

" قلتُ لكم مرارا

إن الطوابير التى تمرّ في استعراض عيد الفطر والجلاء

(فتهتف النساء في النوافذ انبهارا)

لاتصنع انتصارا

إن المدافع التى تصطف على الحدود في الصحارى

لاتطلق النيران إلا حين تستدير للوراء

إن الرصاصة التى ندفع فيها ثمن الكسرة والدواء :

لاتقتل الأعداء

لكنها تقتلنا.. إذا رفعنا صوتنا جهارا

---

[40] أمل دنقل : تعليق على ماحدث ص 206 ، 207 ، 208

[41] أمل دنقل : تعليق على ماحدث ص 198 ، 199

تقتلنا ، وتقتل الصغارَ "42

إنـه يراقب كيف تتحول الجيوش في البلاد النامية من جيوش تحرس الوطن إلى جيوش تلتهم أبناء الوطن إذا طالبوا بالحرية والعدل ، وفي معركته كشاعر يفاجأ أمل بالقمع والمحاصرة ولذلك يكتب قصيدته " من أوراق أبى نُوَاس" بشكل جديد لم يلتفت إليه النقاد :

"أيها الشعرُ ،

ياأيها الفرحُ المخْتَلَسْ

.....

.....

.....

.....

كل ماكنتُ أكتبُ في هذه الصفحة الورقية

صادرته العسَسْ "43

والنقط الموجودة هنا هى نقط وضعها أمل في أصل قصيدته بخطه هو دليلا على ماصادرته العسس ؛ ولم يبح به وهو تجديد شعرى من أمل بتحميل النقط مضامين معانية لكلمات غائبة .

وقد حمل أمل على كل الحكام العرب الذين كانوا يشغلون أنفسهم بقضايا هامشية ويتركون قضية الشعب :

" لاتسألنى إن كان القرآن

مخلوقًا أو أزليْ

بل سلنى : إن كان السلطان

لصًّا أو نصف نبيْ"44

إن أمل قد وظف شعره للدفاع عن الحرية وتحقيقها ، وكافح حتى يشعر الناس بحقيقة مايعيشون فيه من ظلم واضطهاد ، ولكن ذلك – كما قلت آنفا – لم يجعله ينزلق إلى الخطابية التقريرية بل يحافظ على شاعريته ورسم صور خاصة جدا :

---

[42] أمل دنقل : تعليق على ماحدث ص 210

[43] أمل دنقل: العهد الآتي ص 311 ؛ ونموذج خطي للصفحة بقلم أمل دنقل في كتاب الجنوبي ص33

[44] السابق 313

"رؤوسنا تسقطُ لايسندها

إلا حواف الياقة المنتصبة "45

أو قوله : " في الشارع أتلاقى – في ضوء الصبح – بظلي الفارغ

نتصافح بالأقدام"46

وعندما خرج الطلاب في مظاهرة 1972 كانوا يرددون أشهر قصيدة سياسية لأمل وهى قصيدة " الكعكة الحجرية" التى تحولت إلى شعار للحركة الطلابية :

"أيها الواقفون على حافة المذبحة

أشهِروا الأسلحة

سقط الموت وانفرد القلب كالمسبحة

والدم انساب فوق الوشاح

المنازل أضرحة

والزنازن أضرحة

والمدى أضرحة

فارفعوا الأسلحة

واتبعوني

أنا ندم الغد والبارحة

رايتى عظمتان وجمجمة

وشعاري الصباح"47

(2) الموت :

يلعب الموت مع أمل لعبة النهاية ، ولأن كلا منهما يعرف صاحبه فإنهما يتسامران ويتضاحكان ويتشاجران في لعبة ماكرة ، وتطغى لوحات الموت على أمل منذ طفولته كما رأينا ؛ وفاة الأب ، وفاة الأخت ، وفاة الأصدقاء ثم يرقب أمل وفاته شخصيا ..... ويلحظ في تناول أمل

---

[45] أمل دنقل : البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ص 163 (الأعمال الشعرية الكاملة)

[46] السابق ص137

[47] أمل دنقل : العهد الآتى ص 274 – 275

للموت أنه لايتناول الميّت ذاته بل يتناول الميت من زاوية إنعكاس موته على الآخر ، وجاءت على النحو التالى

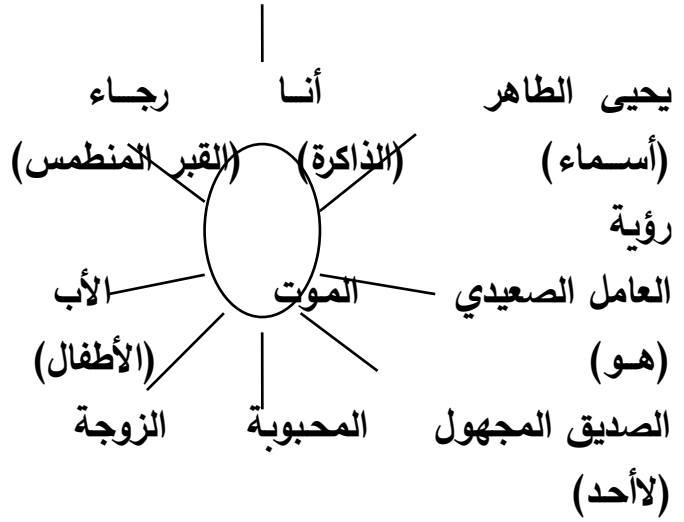

فهو لايصف الميت ، وإنما يصف ذكرياته عنه ؛ أو تخيله عنه ؛ أو انعكاس موته على فاعِل موجود أو غائب أو متخيّل ، وتظل قصيدة " الموت في لوحات " دليلا على ماذهبتُ إليه ؛ كما تتجسد رؤية الموت العميقة في ديوان " أوراق الغرفة 8 " وهى القصائد التى كتبها قبيل موته، إنك تلمس الموت في كل صفحة من صفحات الديوان ، بل في كل كلمة من كلماته ، وبأسلوب مدهش، كيف يتعامل الشاعر مع الموت ؟

وكم كان يوسف إدريس على حق عندما قال معقبا على قصيدة الجنوبي وهى من أواخرالقصائد التي كتبها أمل –كما ذكرت من قبل –:

" بدأت أخاف من رؤياه المستحيلة ، إذْ كنت بدأت أراها ، ..... وبدأتْ تحتلّ عليّ تفكيري ، حتى إنى رفضتُ تماما أن أقرأ قصيدة " الجنوبي "الأخيرة ، فقد كنت متأكدا تماما، أني لو قرأتها لاكتملت ا لرؤية ؛ ولمتّ مثله ومعه"[48]

[48] عبلة الرويني : الجنوبي ص 131

ففـي قصـيدة الجنـوبي يطـلّ علينـا أمـل المحتضِـر ، المحـب للمـوت ، المشتهى لرؤيـة الحقيقة، يبدأها أمل برؤيـة إرتداد الذاكرة Flashback**؛ والتساؤل المخيف :**

"هل أنا كنت طفلا

أم أن الذى كان طفلا سواي ؟"[49]

إنـه التسـاؤل الـذى لايحتـاج إلـى إجابـة ؛ لكنـه يحتـاج إلـى إستحضـار الموت ، ولذلك مضى أمل في مونولوج ذاتى Inner Monolog

"صرتُ عني غريبا

ولم يتبق من السنوات الغريبة

إلا صدى اسمى

وأسماء من أتذكرهم فجأة

بين أعمدة النعي

أولئك الغامضون .. رفاق صباي

يُقْبِلون من الصمت وجهًا فوجها

فيجتمع الشمل كل صباح

لكى نأتنس .."[50]

وهنـا نلمـح عـودة ذاكرة أمـل إلـى القريـة وإلـى النـاس الطيبـين البسـطاء الذين رحلوا قبيله لكنهم يلتفون حول سريره كل صباح كـى يُؤْنِسوه فـي وحدته الصاخبة ؛ ثم يرسم لوحات لوجه صديق مجهول مـات قبلـه وقد يكونه :

" عاد كما كان طفلا

يشاركنى في سريري

وفي كسرة الخبز ، والتبغ

لكنه لايشاركني في المرارة "[51]

---

[49] أمل دنقل : أوراق الغرفة 8 ص 9

[50] السابق ص10

[51] السابق ص 14

ثم يرسم أمل وجه عامل جنوبي يرقبه أمل بينما يصعد سقالة في القاهرة ويسقط من علٍ:

"لم أجد غير عينين لا تبصران

وخيطَ الدماء

وانحنيتُ عليه .. أجسُّ يده

قال آخر : لافائدة

صار نصف الصحيفة كل الغطاء

وأنا في العراء"[52]

إن الجنوب عند أمل يمشى معه ، ويسكنه ، وهو في لحظات إحتضاره لاينسى هذا العامل المجهول الذى سقط غريباً ذات يوم ؛ وتمكن الموت أن يخدعه ويسقطه على الأرض ميتاً ؛ ثم يتذكر وجه صديقه يحيى الطاهر عبدالله الذى مات في حادث سيارة في 1981/4/9 ولم يحاول أمل أن يرثيه إلا في هذه القصيدة الأخيرة.. ثم تأتى المواجهة الأخيرة مع الموت في آخر لوحة من لوحات القصيدة " مرآة " وحنين أمل إلى رؤية الحقيقة دونما أقنعة .

وفي قصيدة " لعبة النهاية " يتحول الصراع مع الموت إلى صراع ظاهر ، تستطيع أنت أن تراه ، هاهو الموت:

" في الميادين يجلس

يطلق كالطفل نبلته بالحصى

فيصيب بها من يصيب من السابلة !

يتوجه للبحر ،

في ساعة المدّ

يطرح في الماء سنارة الصيد

ثم يعود

ليكتب أسماء من علقوا

في أحابيله القاتلة !

لايحب البساتين

لكنه يتسلل من سورها المتآكل

---

[52] أمل دنقل : أوراق الغرفة 8 ص 17

يصنع تاجا

جواهره الثمرُ المتعفن

إكليله الورق المتغضن

يلبسه فوق طوق الزهور الخريفية الذابلة !

يتحول أفعى ونايا

فيرى في المرايا

جسديْن وقلبين متحدين

تغيم الزوايا ، وتحكى العيون حكايا

فينسلّ بينهما

مثل خيط من العرق المتفصد

يلعق دفء مسامهما

يغرس الناب في موضع القلب

تسقط رأس الفتى في الغطاء

وتبقى الفتاة محدقة ، ذاهلةْ !

أمس : فاجأته واقفا بجوار سريري

ممسكا – بيد – كوبَ ماء

ويدٍ – بحبوب الدواء

فتناولتها ...!!

كان مبتسما

وأنا كنت مستسلما لمصيري"[53]

إنها لعبة النهاية حيث يستسلم أمل أمام جبروت الموت الذى فاجأه رغم توقعه له ومراقبة أمل لأفعال الموت في البشر إلا أن فجاءة الموت شلت تفكيره فابتسم الموت .

وهذه القصيدة تبدو متشابهةً إلى حد كبير مع قصة الطيب صالح القصيرة "الرجل القيرصي"

وتبدو قصيدة " زهور " متفردة في بابها في الأدب المصري ، فالشاعر يصف ذاته من خلال وصفه للزهور المهداة إليه ، وحيث تقصف أيدي

---

[53] أمل دنقل : أوراق الغرفة 8 ص ص 41 –44

البستانى الورد يقصف الزمن روح أمل ، وحين تتنفس الزهور في حشرجة ، وترفع رأسها في كبرياء المحتضر النبيل ، يرفع أمل رأسه وهو يحتضر، لكى يتطلع إلى الزهور في نظرة مغايرة لرؤانا نحو الأشياء.

إننا نحاول أن نضع للزهور قليلا من الماء حتى تحيا ولاتذبل ، بينما ينظر أمل نظرة مغايرة للزهور ، نظرة تقلب الرؤى المتوارثة ، إنه يعيد صياغة الأشياء من جديد ، إنه يفاجئك أن ماتعرفه توارثا خطأ ، وأن عقلك ينبغى أن يحدد جوانب المعرفة ، يقول :

"وسلالٍ من الورد ،

ألمحها بين إغفاءةٍ وإفاقة

وعلى كل باقه

إسم حاملها في بطاقه

.....

تتحدث لى الزهرات الجميلة

أن أعينها اتسعت – دهشةً –

لحظةَ القطفِ ،

لحظة القصفِ ،

لحظة إعدامها في الخميلة !

تتحدث لى انها سقطت من على عرشها في البساتين ،

ثم أفاقت على عرضها في زجاج الدكاكين ، أوبين أيدى المنادين ،

حتى اشترتها اليدالمتفضلة العابرة !

تتحدث لي ...

كيف جاءت إليَّ ...

(وأحزانها الملكية ترفع أعناقها الخضر)

كى تتمنى لى العمر !

وهى تجود بأنفاسها الآخرة !!

كل باقة ...

بين إغماءة وإفاقه ...

تتنفس مثلي – بالكاد – ثانيةً ... ثانية

وعى صدرها حملت – راضيه –

اسم قاتلها في بطاقة ! "54

وتعتمد قصيدة " ضد من؟"على الثنائية المتضادة التى تعكس أحادية الرؤية لدى أمل ، ففي الغرفة رقم 8 يتأمل هذه الألوان التى يراها لكنه لا يرى منها –بإحساسه الشاعرى– سوى لونين : الأبيض والأسود.

الأبيض الذى يرمز لدى أمل إلى الموت والرحيل القريب على عكس رؤية الآخرين حيث يرون فيه رمزا للتفاؤل ، إن أمل يتطلع حواليه فلا يرى سوى هذا اللون البيض في غرفة العمليات وملابس الأطباء والممرضات وملاءات الأسرة وفي أربطة الشاش والقطن وفي الحبوب المنومة وكوب اللبن ... الــخ كل هذه الأشياء يوحد بينها اللون الأبيض الذى لايُذَكّر أمل إلا بلون الكفن ... الذى يقول عنه في قصيدته " إلى محمود حسن إسماعيل .. في ذكراه ":

" إن البياض الوحيد الذى نرتجيه

البياض الوحيد الذى نتوحد فيه :

بياض الكفن !"55

وهنا نرى أمل ينشد العدل والمساواة ويتخذ من اللون البيض قاسما مشتركا بين الناس حيث تختفي الطبقية ولكن رؤيته هذه تكاد تصطدم مع رؤيته باللون الأبيض في قصيدة " ضد من " فإذا كان اللون الأبيض هو مايرتجيه أمل في قصيدة محمود حسن إسماعيل فإن اللون الأبيض يغدو منفّرا لأمل إذ يذكره بالموت والرحيل بيد أننا لو أخذنا رؤية أمل تجاه موت محمود حسن إسماعيل من جهة ؛ وانتظاره للموت من جهة أخرى حيث يوحد الموت بين الشاعرين فإنه لاتناقص في هذه الحالة .

ثم يتحدث أمل عن اللون الثانى وهو الأسود الذى يرى فيه رمزا للتشبث بالحياة وأن كل معزٍ يرتدى الملابس السوداء كتميمة ضد الفناء .

ومن التضاد ينفذ أمل إلى ثنائية الرؤى بين هذا القلب الذى يخفق وبين انتظار توقف هذا القلب ؛ بين أصدقائه الذين ينقسمون إلى قسمين :

---

54 أمل دنقل : أوراق الغرفة 8 ص 27 – 28

55 السابق ص 104

فريق يرى أن سرير أمل قبرُه ؛ ولا أمل في البقاء ؛ وفريق آخر يرى أن حياته دهر طويل ، وربما كان يرمز هنا إلى تعدد الرؤى نحو شعره.

يقول أمل في قصيدة " ضد من "

" في غرف العمليات ،

كان نقاب الأطباء أبيض ،

لون المعاطف أبيض ،

تاج الحكيمات أبيض ،

أردية الراهبات ، الملاءات ،

لون الأسرَّة ، أربطة الشاش والقطن ،

قرص المنوِّم ، أنبوبة المصل ،

كوب اللبْن .

كل هذا يشيع بقلبى الوهنْ .

كل هذا البياض يذكرنى بالكفنْ !

فلماذا إذا متّ ...

يأتى المعزّون متشحين بشارات لون الحداد ؟

هل لأن السواد ...

هو لون النجاةِ من الموتِ ،

لون التميمةِ ضدّ الزمنْ ،

ضدّ مَنْ .... ؟

ومتى القلب في الخفقان اطمأن

بين لونيْن أستقبل الأصدقاء ،

الذين يرون سريري قبرا

وحياتي دهرا ...

وأرى في العيون العميقة ...

لـونَ الحقيقة ...

لون تراب الوطن ."[56]

---

[56] أمل دنقل : أوراق الغرفة 8 ص 21 – 22

إن الفصل بين حياة أمل وشعره محاولة عبثية ، لأن الشاعر الإنسان هو الإنسان الشاعر ، ووضح ذلك تماما أمل دنقل الذى " كان فتى، لم يكن يملك إلا مبدأه . "[57]

[57] أمل دنقل : مقتل القمر ص 53 (الأعمال الشعرية الكاملة)

1a

" ضد من "
شعر أمل دنقل

" في غرف العمليات ،
كان نقاب الأطباء أبيض ،
لون المعاطف أبيض ،
تاج الحكيمات أبيض ،
أردية الراهبات ، الملاءات ،
لون الأسرَّة ، أربطة الشاش والقطن ،
قرص المنوِّم ، أنبوبة المصل ،
كوب اللبْن .
كل هذا يشيع بقلبى الوهنْ .
كل هذا البياض يذكرنى بالكفنْ !
فلماذا إذا متّ ...
يأتى المعزّون متشحين بشارات لون الحداد ؟
هل لأن السواد ...
هو لون النجاةِ من الموتِ ،
لون التميمةِ ضدّ الزمنْ ،
ضدّ مَنْ .... ؟
ومتى القلب في الخفقان اطمأن
بين لونيْن أستقبل الأصدقاء ،
الذين يرون سريري قبرا
وحياتي دهرا ...
وأرى في العيون العميقة ...
لـونَ الحقيقـة ...
لون تراب الوطن ."58

---

58 أمل دنقل : أوراق الغرفة 8 ص 21 – 22

الجنوبي

أمل دنقل

صورة
هل أنا كنت طفلا..
أم أن الذي كان طفلا سواي؟
هذه الصور العائلية..
كان أبي جالسا، وأنا واقف.. تتدلي يداي!
رفسة من فَرَسْ
تركت في جبيني شجا، وعلَّمت القلب أن يحترس.
أتذكر..
سال دمي
أتذكر..
مات أبي نازفا.
أتذكر..
هذا الطريق إلي قبره..
أتذكر..
أختي الصغيرة ذات الربيعين.
لا أتذكر حتي الطريق إلي قبرها
المنطمس
أوَكان الصبي الصغير أنا ؟
أم تري كان غيري؟
أحدٌ ِق..
لكن تلك الملامح ذات العذوبة.
لاتنتمي الآن لي.
والعيون التي تترقرق بالطيبة
الآن لاتنتمي لي.
صرتُ عني غريبا،
ولم يتبقَّ من السنوات الغريبة.
إلا صدي اسمي..
وأسماء من أتذكرهم فجأة
بين أعمدة النعي،
أولئك الغامضون : رفاق صباي.
يقبلون من الصمت وجها فوجها..
فيجتمع الشمل كل صباح،
لك نأتنس.

وجه
كان يسكن قلبي
وأسكن غرفتهُ
نتقاسم نصف السرير،
ونصف الرغيف،
ونصف اللفافة،
والكتب المستعارةْ.
هجرته حبيبته في الصباح فمزق شريانه في المساء،
ولكنه بعد يومين مزق صورتها..
واندهشْ.
خاض حربين بين جنود المظلات..
لم ينخدشْ
واستراح من الحرب..
عاد ليسكن بيتا جديدا
ويكسب قوتا جديدا
يدخن علبة تبغ بكاملها
ويجادل أصحابه حول أبخرة الشاي..
لكنه لايطيل الزيارة..
عندما احتقنت لوزتاه، استشار الطبيب،
وفي غرفة العمليات..
لم يصطحب أحدا غير خُف..
وأنبوبة لقياس الحرارةْ،
فجأة مات!
لم يحتمل قلبه سريان المخدر،
وانسحبت من علي وجهه سنواتُ العذابات،
عاد كما كان طفلا..
يشاركني في سريري
وفي كسرة الخبز، والتبغ،
لكنه لايشاركني.. في المرارة!

وجه
من أقاصي الجنوب أتي ، عاملا
للبناء
كان يصعد سقالة ويغني لهذا الفضاء
كنت أجلس خارج مقهي قريب،

وبالأعين الشاردة..
كنت أقرأ نصف الصحيفة،
والنصف أخفي به وسخ المائدة.
لم أجد غير عينين لاتبصران..
وخيط الدماء..
وانحنيت عليه.. أجسّ يدّهْ
قال آخر: لافائدة
صار نصف الصحيفة كل الغطاء
وأنا.. في العراء

وجه
ليت أسماء تعرف أن أباها صّعّدْ
لم يمتْ
هل يموت الذي كان يحيا
كأن الحياة أبدْ!
وكأن الشراب نفدْ!
وكأن البنات الجميلات يمشين فوق الزبدْ!
عاش منتصبا، بينما
ينحني القلب يبحث عما فقدْ.
ليت "أسماء "تعرف أن أباها الذي.
حفظ الحب والأصدقاء تصاويره..
وهو يضحك،
وهو يفكر،
وهو يفتش عما يقيم الأودْ.
ليت "أسماء" تعرف أن البنات الجميلات..
خبأنه بين أوراقهن،
وعلمنه أن يسير..
ولايلتقي بأحد!

مرآة

هل تريد قليلا من البحر؟

إن الجنوبي لايطمئن إلي اثنين ياسيدي:
البحر والمرأة الكاذبة.

سوف آتيك بالرمل منه
..وتلاشي به الظل شيئا فشيئا،
فلم أستبنه

هل تريد قليلا من الخمر؟

إن الجنوبي ياسيدي يتهيب شيئين:
قنينة الخمر والآلة الحاسبة.

سوف آتيك بالثلج منه.
وتلاشي به الظل شيئا فشيئا..
فلم أستبنه.
بعدها لم أجدْ صاحبيٌّ
لم يعد واحد منهما لي بشيٌ
هل تريد قليلا من الصبر؟
لا..
فالجنوبي ياسيدي يشتهي أن يكون الذي لم يكنه
يشتهي أن يلاقي اثنتين:
الحقيقة والأوجه الغائبة.

محمود درويش

(13 مارس 1941 . 9 أغسطس 2008)

لاعب النرد

يعد الشاعر محمود درويش من أهم الشعراء العرب في العصر الحديث ، وقد حمل على كاهله قضية الشعب الفلسطيني ، وفي هذه قصيدة التي تمثل سيرة الشاعر الذاتية ،يتخذ الشاعر العربي الكبير محمود درويش في آخر قصائده بعنوان "لاعب النرد" رؤى "لاعب النرد" الذي "يربح حينا ويخسر حينا" وهو مثل جميع الناس أو "أقل قليلا" فلاعب النرد يمثل حياة الشاعر.

تتناول "لاعب النرد" رؤية الشاعر تجاه الحياة والموت في رؤى فلسفية وكأنه يوع بها الحياة.

"تشبه "لاعب النرد" سيرة ذاتية تمثل حياة الشاعر كما تمثل حياة فلسطين ؛ إنها لوحات بمثل الوطن، تستشرف الماضي والحاضر والمستقبل برؤى فلسفية". واخترت مقتطفات من القصيدة :

"لاعب النرد" آخر قصائد درويش

مَنْ أَنا لأقول لكمْ
ما أَقول لكمْ ؟
وأَنا لم أكُنْ حجراً صَقَلَتْهُ المياهُ
فأصبح وجهاً
ولا قَصَباً ثُقَبتْهُ الرياحُ
فأصبح ناياً ...
أَنا لاعب النَرْدِ ،
أَربح حيناً وأَخسر حيناً
أَنا مثلكمْ
أَو أَقلُّ قليلاً ...
وُلدتُ إلى جانب البئرِ
والشجراتِ الثلاثِ الوحيدات كالراهباتْ

وُلدتُ بلا زَفّةٍ وبلا قابلةْ
وسُمِّيتُ باسمي مُصَادَفَةً
وانتميتُ إلى عائلةْ
مصادفَةً ،
ووَرِثْتُ ملامحها والصفاتْ
وأَمراضها :
أَولاً – خَلَلاً في شراييـنها
وضغطَ دمٍ مرتفعْ
ثانياً – خجلاً في مخاطبة الأمّ والأَبِ
والجدَّة – الشجرةْ
ثالثاً – أَملاً في الشفاء من الانفلونزا
بفنجان بابونـجٍ ساخنٍ
رابعاً – كسلاً في الحديث عن الظبي والقُبَّرة
خامساً – مللاً في ليالي الشتاءْ
سادساً – فشلاً فادحاً في الغناءْ ...
ليس لي أَيُّ دورٍ بما كنتُ
كانت مصادفةً أَن أكونْ
ذَكَراً ...
ومصادفةً أَن أَرى قمراً
شاحباً مثل ليمونة يَتغزل بالساهرات
ولم أَجتهد
كي أَجدْ
شامةً في...مواضع جسمي !
كان يمكن أن لا أكونْ
كان يمكن أن لا يكون أَبي
قد تزوَّج أمي مصادفةً
أَو أكونْ
مثل أختي التي صرخت ثم ماتت

ولم تنتبه
إلى أَنها وُلدت ساعةً واحدةْ
ولم تعرف الوالدةْ ...
أَو : كَبَيْض حَمَامٍ تكسَّرَ
قبل انبلاج فِراخ الحمام من الكِلْسِ /
كانت مصادفة أَن أكون
أنا الحيّ في حادث الباصِ
حيث تأخَّرْتُ عن رحلتي المدرسيّةْ
لأني نسيتُ الوجود وأَحواله
عندما كنت أَقرأ في الليل قصَّةَ حُبٍّ
تَقمَّصْتُ دور المؤلف فيها
ودورَ الحبيب – الضحيَّةْ
فكنتُ شهيد الهوى في الروايةِ
والحيَّ في حادث السيرِ /
لا دور لي في المزاح مع البحرِ
لكنني وَلَدٌ طائشٌ
من هُواة التسكّع في جاذبيّة ماءٍ
ينادي : تعال إليَّْ !
ولا دور لي في النجاة من البحرِ
أَنْقَذَني نورسٌ آدميٌّ
رأى الموج يصطادني ويشلُّ يديَّْ
كان يمكن أَلاَّ أكون مُصاباً
بجنّ الُمعَلَّقة الجاهليّةِ
لو أَن بوَّابة الدار كانت شماليّةً
لا تطلُّ على البحرِ
لو أَن دوريّةَ الجيش لم تر نار القرى
تخبز الليلَ
لو أَن خمسة عشر شهيداً

أَعادوا بناء المتاريسِ
لو أَن ذاك المكان الزراعيَّ لم ينكسرْ
رُبَّما صرتُ زيتونةً
أو مُعَلِّم جغرافيا
أو خبيراً بمملكة النمل
أو حارساً للصدى !
مَنْ أنا لأقول لكم
ما أقول لكم
ولستُ سوى رمية النرد
ما بين مُفْتَرِسٍ وفريسةْ
ربحت مزيداً من الصحو
لا لأكون سعيداً بليلتيَ المقمرةْ
بل لكي أَشهد المجزرةْ
نجوتُ مصادفةً : كُنْتُ أَصغرَ من هَدَف عسكريّ
وأكبرَ من نحلة تتنقل بين زهور السياجْ
وخفتُ كثيراً على إخوتي وأَبي
وخفتُ على زَمَنٍ من زجاجْ
وخفتُ على قطتي وعلى أَرنبي
وعلى قمر ساحر فوق مئذنة المسجد العاليةْ
وخفت على عِنَبِ الداليةْ
...
ومشى الخوفُ بي ومشيت بهِ
حافياً ، ناسياً ذكرياتي الصغيرة عما أريدُ
من الغد – لا وقت للغد –
أَمشي / أهرولُ / أركضُ / أصعدُ / أنزلُ / أصرخُ /أَنبحُ / أعوي / أنادي / أولولُ / أسرعُ / أبطئ / أهوي/ أخفُّ / أجفُّ / أسيرُ / أطيرُ / أرى / لا أرى / أتعثَّرُ/ أصفرُّ / أخضرُّ / أزرقُّ / أنشقُّ / أجهشُ / أعطشُ/ أتعبُ / أسغَبُ / أسقطُ / أنهضُ / أركضُ / أنسى/ أرى / لا أرى / أتذكَّرُ / أَسمعُ / أبصرُ / أهذي /أُهَلْوِس / أهمسُ / أصرخُ /

لا أستطيع / أَنَنُّ / أجنّ /أَضلّ / أقلُّ / وأكثرُ / أسقط / أعلو / وأهبط / أدْمَى/ ويغمى عليّ /

ومن حسن حظّيَ أن الذئاب اختفت من هناك

مُصَادفةً ، أو هروباً من الجيشِ /

لا دور لي في حياتي

سوى أَنني ،

عندما عَلَّمتني تراتيلها ،

قلتُ : هل من مزيد ؟

وأَوقدتُ قنديلها

ثم حاولتُ تعديلها ...

كان يمكن أن لا أكون ...

لو أرادت لِيَ الريحُ ذلك ،

والريح حظُّ المسافرِ ...

شمألتُ ، شرَّقتُ ، غَرَّبتُ

أما الجنوب فكان قصياً عصيّاً عليَّ

لأن الجنوب بلادي

فصرتُ مجازا، أحلِّق فوق حطامي

ربيعاً خريفاً ..

...

مَنْ أَنا لأقول لكم

ما أقولُ لكم ،

مَنْ أنا ؟

كان يمكن أن لا يحالفني الوحيُ

والوحي حظُّ الوحيدين

« إنَّ القصيدة رَمْيَةُ نَرْدٍ »

على رُقْعَةٍ من ظلامْ

تشعُّ ، وقد لا تشعُّ

فيهوي الكلامْ

كريش على الرملِ /
لا دَوْرَ لي في القصيدة
غيرُ امتثالي لإيقاعها :
حركاتِ الأحاسيس حسّاً يعدِّل حساً
وحَدْساً يُنَزِّلُ معنى
وغيبوبة في صدى الكلمات
وصورة نفسي التي انتقلت
إلى غيرها « أَنايَ » من
واعتمادي على نَفَسِي
وحنيني إلى النبعِ /
لا دور لي في القصيدة إلاَّ
إذا انقطع الوحيُ
والوحيُ حظُّ المهارة إذ تجتهدْ
كان يمكن ألاَّ أحبّ الفتاة التي
سألتني : كمِ الساعةُ الآنَ ؟
لو لم أَكن في طريقي إلى السينما ...
كان يمكن ألاَّ تكون خلاسيّةً مثلما
هي ، أو خاطراً غامقاً مبهما ...
هكذا تولد الكلماتُ . أدرِّبُ قلبي
على الحب كي يَسَعَ الورد والشوكَ ...
صوفيَّةٌ مفرداتي . وحسِّيَّةٌ رغباتي
ولستُ أنا مَنْ أنا الآن إلاَّ
إذا التقتِ الاثنتانِ :
أَنا ، وأَنا الأنثويَّةُ
يا حُبّ ! ما أَنت ؟ كم أنتَ أنتَ
ولا أنتَ . يا حبّ ! هُبَّ علينا
عواصفَ رعديّةً كي نصير إلى ما تحبّ
لنا من حلول السماويِّ في الجسديّ .

وذُبْ في مصبّ يفيض من الجانبين .
فأنت – وإن كنت تظهر أَو تَتَبطَّنُ –
لا شكل لك
ونحن نحبك حين نحبُّ مصادفةً
أَنت حظّ المساكين /
من سوء حظّيَ أَني نجوت مراراً
من الموت حبّاً
ومن حُسْن حظّي أنيَ ما زلت هشاً
لأدخل في التجربةْ !
يقول المحبُّ المجرّبُ في سرّهِ :
هو الحبُّ كذبتنا الصادقةْ
فتسمعه العاشقةْ
وتقول : هو الحبّ ، يأتي ويذهبُ
كالبرق والصاعقة
للحياة أقول : على مهلك ، انتظريني
إلى أن تجفَّ الثُّمَالَةُ في قَدَحي ...
في الحديقة وردٌ مشاع ، ولا يستطيع
الهواءُ
الفكاكَ من الوردةِ /
انتظريني لئلاَّ تفرَّ العنادلُ مِنّي
فأُخطئ في اللحنِ /
في الساحة المنشدون يَشُدُّون أوتار آلاتهمْ
لنشيد الوداع . على مَهْلِكِ اختصريني
لئلاَّ يطول النشيد ، فينقطع النبرُ بين المطالع ،
وَهْيَ ثنائيَّةٌ والختامِ الأُحاديّ :
تحيا الحياة !
على رسلك احتضنيني لئلاَّ تبعثرني الريحُ /
حتى على الريح ، لا أستطيع الفكاك

من الأبجدية /
لولا وقوفي على جَبَلٍ
لفرحتُ بصومعة النسر : لا ضوء أَعلى !
ولكنَّ مجداً كهذا المُتوَّجِ بالذهب الأزرق اللانهائيّ
صعبُ الزيارة : يبقى الوحيدُ هناك وحيداً
ولا يستطيع النزول على قدميه
فلا النسر يمشي
ولا البشريُّ يطير
فيا لك من قمَّة تشبه الهاوية
أنت يا عزلة الجبل العالية !
ليس لي أيُّ دور بما كُنْتُ
أو سأكونْ ...
هو الحظُّ . والحظ لا اسم لَهُ
قد نُسَمّيه حدَّادَ أَقدارنا
أو نُسَمّيه ساعي بريد السماء
نُسَمّيه نجَّارَ تَخْتِ الوليد ونعشِ الفقيد
نسمّيه خادم آلهة في أساطيرَ
نحن الذين كتبنا النصوص لهم
واختبأنا وراء الأولمب ...
فصدَّقهم باعةُ الخزف الجائعون
وكَذَّبَنا سادةُ الذهب المتخمون
ومن سوء حظ المؤلف أن الخيال
هو الواقعيُّ على خشبات المسارحِ /
خلف الكواليس يختلف الأَمرُ
ليس السؤال : متى ؟
بل : لماذا ؟ وكيف ؟ وَمَنْ
مَنْ أنا لأقول لكم
ما أقول لكم ؟

كان يمكن أن لا أكون
وأن تقع القافلةْ
في كمين ، وأن تنقص العائلةْ
ولداً ،
هو هذا الذي يكتب الآن هذي القصيدةَ
حرفاً فحرفاً ، ونزفاً ونزفاً
على هذه الكنبةْ
بدمٍ أسود اللون ، لا هو حبر الغراب
ولا صوتُهُ ،
بل هو الليل مُعْتَصراً كُلّه
قطرةً قطرةً ، بيد الحظِّ والموهبةْ
كان يمكن أن يربح الشعرُ أكثرَ لو
لم يكن هو ، لا غيره ، هُدْهُداً
فوق فُوَهَّة الهاويةْ
ربما قال : لو كنتُ غيري
لصرتُ أنا، مرَّةً ثانيةْ
هكذا أَتحايل : نرسيس ليس جميلاً
كما ظنّ . لكن صُنَّاعَهُ
ورَّطوهُ بمرآته . فأطال تأمُّلَهُ
في الهواء المقَطَّر بالماء ...
لو كان في وسعه أن يرى غيره
لأحبَّ فتاةً تحملق فيه ،
وتنسى الأيائل تركض بين الزنابق والأقحوان ...
ولو كان أَذكى قليلاً
لحطَّم مرآتَهُ
ورأى كم هو الآخرون ...
ولو كان حُرّاً لما صار أسطورةً ...
والسرابُ كتابُ المسافر في البيد ...

لولاه ، لولا السراب ، لما واصل السيرَ
بحثاً عن الماء . هذا سحاب – يقول
ويحمل إبريق آماله بِيَدٍ وبأخرى
يشدُّ على خصره . ويدقُّ خطاه على الرملِ
كي يجمع الغيم في حُفْرةٍ .
والسراب يناديه
يُغْويه ، يخدعه ، ثم يرفعه فوق : إقرأ
إذا ما استطعتَ القراءةَ . واكتبْ إذا
ما استطعت الكتابة . يقرأ : ماء ، وماء ،
وماء .
ويكتب سطراً على الرمل : لولا السراب
لما كنت حيّاً إلى الآن /
من حسن حظِّ المسافر أن الأملْ
توأمُ اليأس ، أو شعرُهُ المرتجل
حين تبدو السماءُ رماديّةً
وأَرى وردة نَتَأَتْ فجأةً
من شقوق جدارْ
لا أقول : السماء رماديّةٌ
بل أطيل التفرُّس في وردةٍ
وأَقول لها : يا له من نهارْ !
ولاثنين من أصدقائي أقول على مدخل
الليل :
إن كان لا بُدَّ من حُلُم ، فليكُنْ
مثلنا ... وبسيطاً
كأنْ : نَتَعَشَّى معاً بعد يَوْمَيْنِ
نحن الثلاثة ،
مُحْتَفلين بصدق النبوءة في حُلْمنا
وبأنَّ الثلاثة لم ينقصوا واحداً

منذ يومين ،
فلنحتفل بسوناتا القمرْ
وتسامُحِ موت رآنا معاً سعداء
فغضَّ النظرْ !
لا أَقول : الحياة بعيداً هناك حقيقيَّةٌ
وخياليَّةُ الأمكنةْ
بل أقول : الحياة ، هنا ، ممكنةْ
ومصادفةً ، صارت الأرض أرضاً مُقَدَّسَةً
لا لأنَّ بحيراتها ورباها وأشجارها
نسخةٌ عن فراديس علويَّةٍ
بل لأن نبيّاً تمشَّى هناك
وصلَّى على صخرة فبكتْ
وهوى التلُّ من خشية الله
مُغْمىً عليه
ومصادفةً ، صار منحدر الحقل في بَلَدٍ
متحفاً للهباء ...
لأن ألوفاً من الجند ماتت هناك
من الجانبين ، دفاعاً عن القائِدَيْنِ اللذين
يقولان : هيّا . وينتظران الغنائمَ في
خيمتين حريرَيتَين من الجهتين ...
يموت الجنود مراراً ولا يعلمون
إلى الآن مَنْ كان منتصراً !
ومصادفةً ، عاش بعض الرواة وقالوا :
لو انتصر الآخرون على الآخرين
لكانت لتاريخنا البشريّ عناوينُ أخرى
يا أرضُ خضراءَ . تُفَّاحَةً . « أحبك خضراءَ »
تتموَّج في الضوء والماء . خضراء . ليلُكِ
أَخضر . فجرك أَخضر . فلتزرعيني برفق...

برفقِ يَدِ الأم ، في حفنة من هواء .
أَنا بذرة من بذورك خضراء ... /
تلك القصيدة ليس لها شاعر واحدٌ
كان يمكن ألا تكون غنائيَّةَ ...
من أنا لأقول لكم
ما أَقول لكم ؟
كان يمكن أَلاَّ أكون أَنا مَنْ أَنا
كان يمكن أَلاَّ أكون هنا ...
كان يمكن أَن تسقط الطائرةْ
بي صباحاً ،
ومن حسن حظّيَ أَني نَؤُوم الضحى
فتأخَّرْتُ عن موعد الطائرةْ
كان يمكن أَلاَّ أرى الشام والقاهرةْ
ولا متحف اللوفر ، والمدن الساحرةْ
كان يمكن ، لو كنت أَبطأَ في المشي ،
أَن تقطع البندقيّةُ ظلِّي
عن الأرزة الساهرةْ
كان يمكن ، لو كنتُ أَسرع في المشي ،
أَن أَتشظّى
وأصبح خاطرةً عابرةْ
كان يمكن ، لو كُنْتُ أَسرف في الحلم ،
أَن أَفقد الذاكرة .
ومن حسن حظِّيَ أَني أنام وحيداً
فأصغي إلى جسدي
وُأصدِّقُ موهبتي في اكتشاف الألمْ
فأنادي الطبيب، قُبَيل الوفاة، بعشر دقائق
عشر دقائق تكفي لأحيا مُصَادَفَةً
وُأخيِّب ظنّ العدم

مَنْ أَنا لأخيِّب ظنَّ العدم ؟
مَنْ أنا ؟ مَنْ أنا ؟

نشرت في الثاني من تموز (يوليو)2008

أحمد شوقي

وُلِدَ الهُدى

وُلِـــــــدَ الهُـــــــدى فَالكائِنـــــــاتُ ضِـــــــياءُ
"وَفَـــــمُ الزَمـــــانِ تَبَسُّـــــمٌ وَثَنـــــاءُ
الـــــروحُ وَالمَـــــلَأُ المَلائِـــــكُ حَولَـــــهُ"
"لِلـــــدينِ وَالـــــدُنيا بِـــــهِ بُشَـــــراءُ
وَالعَـــــرشُ يَزهـــــو وَالحَظيـــــرَةُ تَزدَهـــــي"
"وَالمُنتَهـــــى وَالسِـــــدرَةُ العَصـــــماءُ
وَحَديقَـــــةُ الفُرقـــــانِ ضـــــاحِكَةُ الرُبـــــا"
"بِالتُرجُمـــــانِ شَـــــذِيَّةٌ غَنّـــــاءُ
وَالـــــوَحيُ يَقطُـــــرُ سَلسَـــــلًا مِـــــن سَلسَـــــلٍ"
"وَاللَـــــوحُ وَالقَلَـــــمُ البَـــــديعُ رُواءُ
نُظِمَـــــت أَســـــامي الرُســـــلِ فَهـــــيَ صَـــــحيفَةٌ"
"فـــــي اللَـــــوحِ وَاســـــمُ مُحَمَّـــــدٍ طُغَـــــراءُ
اســـــمُ الجَلالَـــــةِ فـــــي بَـــــديعِ حُروفِـــــهِ"
"أَلِـــــفٌ هُنالِـــــكَ وَاســـــمُ طَـــــهَ البـــــاءُ
يـــــا خَيـــــرَ مَـــــن جـــــاءَ الوُجـــــودَ تَحِيَّـــــةً"
"مِـــــن مُرسَـــــلينَ إِلـــــى الهُـــــدى بِـــــكَ جـــــاؤوا
بَيـــــتُ النَبِيّـــــينَ الَّـــــذي لا يَلتَقـــــي"
"إِلّا الحَنـــــائِفُ فيـــــهِ وَالحُنَفـــــاءُ
خَيـــــرُ الأُبُـــــوَّةِ حـــــازَهُمْ لَـــــكَ آدَمٌ"
"دونَ الأَنـــــامِ وَأَحـــــرَزَت حَـــــوّاءُ
هُـــــم أَدرَكـــــوا عِـــــزَّ النُبُـــــوَّةِ وَانتَهَـــــت"
"فيهـــــا إِلَيـــــكَ العِـــــزَّةُ القَعســـــاءُ
خُلِقَـــــت لِبَيتِـــــكَ وَهـــــوَ مَخلـــــوقٌ لَهـــــا"
"إِنَّ العَظـــــائِمَ كُفؤُهـــــا العُظَمـــــاءُ
بِـــــكَ بَشَّـــــرَ اللَهُ السَـــــماءَ فَزُيِّنَـــــت"
"وَتَضَـــــوَّعَت مِســـــكًا بِـــــكَ الغَبـــــراءُ
وَبَـــــدا مُحَيّـــــاكَ الَّـــــذي قَسَـــــماتُهُ"
"حَـــــقٌّ وَغُرَّتُـــــهُ هُـــــدىً وَحَيـــــاءُ
وَعَلَيـــــهِ مِـــــن نـــــورِ النُبُـــــوَّةِ رَونَـــــقٌ"
"وَمِـــــنَ الخَليـــــلِ وَهَديـــــهِ سِـــــيماءُ
أَثنـــــى المَســـــيحُ عَلَيـــــهِ خَلـــــفَ سَـــــمائِهِ"
"وَتَهَلَّلَـــــت وَاهتَـــــزَّتِ العَـــــذراءُ

يَـــــومٌ يَتيـــــهُ عَلـــــى الزَمـــــانِ صَـــــباحُهُ"
"وَمَســـــــاؤُهُ بِمُحَمَّـــــــدٍ وَضّـــــــاءُ
الحَـــــقُّ عـــــالي الـــــرُكنِ فيـــــهِ مُظَفَّـــــرٌ"
"فـــــي المُلـــــكِ لا يَعلـــــو عَلَيـــــهِ لِـــــواءُ
ذُعِـــــرَت عُـــــروشُ الظـــــالِمينَ فَزُلزِلَـــــت"
"وَعَلَـــــت عَلـــــى تيجـــــانِهِم أَصـــــداءُ
وَالنـــــارُ خاوِيَـــــةُ الجَوانِـــــبِ حَـــــولَهُمْ"
"خَمَـــــدَت ذَوائِبُهـــــا وَغـــــاضَ المـــــاءُ
وَالآيُ تَتـــــرى وَالخَـــــوارِقُ جَمَّـــــةٌ"
"جِبريـــــلُ رَوّاحٌ بِهـــــا غَـــــدّاءُ
نِعـــــمَ اليَتـــــيمُ بَـــــدَت مَخايِـــــلُ فَضـــــلِهِ"
"وَاليُـــــتمُ رِزقٌ بَعضُـــــهُ وَذَكـــــاءُ
فـــــي المَهـــــدِ يُستَســـــقى الحَيـــــا بِرَجائِـــــهِ"
"وَبِقَصـــــدِهِ تُســـــتَدفَعُ البَأســـــاءُ
بِسِـــــوى الأَمانَـــــةِ فـــــي الصِـــــبا وَالصِـــــدقِ لَـــــم"
"يَعرِفـــــهُ أَهـــــلُ الصِـــــدقِ وَالأُمَنـــــاءُ
يـــــا مَـــــن لَـــــهُ الأَخـــــلاقُ مـــــا تَهـــــوى العُـــــلا"
"مِنهـــــا وَمـــــا يَتَعَشَّـــــقُ الكُبَـــــراءُ
لَـــــو لَـــــم تُقِـــــم دينًـــــا لَقامَـــــت وَحـــــدَها"
"دينًـــــا تُضـــــيءُ بِنـــــورِهِ الآنـــــاءُ
زانَتـــــكَ فـــــي الخُلُـــــقِ العَظـــــيمِ شَـــــمائِلٌ"
"يُغـــــرى بِهِـــــنَّ وَيولَـــــعُ الكُرَمـــــاءُ
أَمّـــــا الجَمـــــالُ فَأَنـــــتَ شَـــــمسُ سَـــــمائِهِ"
"وَمَلاحَـــــةُ الصِـــــدّيقِ مِنـــــكَ أَيـــــاءُ
وَالحُســـــنُ مِـــــن كَـــــرَمِ الوُجـــــوهِ وَخَيـــــرُهُ"
"مـــــا أوتِـــــيَ القُـــــوّادُ وَالزُعَمـــــاءُ
فَـــــإِذا سَـــــخَوتَ بَلَغـــــتَ بِـــــالجودِ المَـــــدى"
"وَفَعَلـــــتَ مـــــا لا تَفعَـــــلُ الأَنـــــواءُ
وَإِذا عَفَـــــوتَ فَقـــــادِرًا وَمُقَـــــدَّرًا"
"لا يَســـــتَهينُ بِعَفـــــوِكَ الجُهَـــــلاءُ
وَإِذا رَحِمـــــتَ فَأَنـــــتَ أُمٌّ أَو أَبٌ"
"هَـــــذانِ فـــــي الـــــدُنيا هُمـــــا الرُحَمـــــاءُ
وَإِذا غَضِـــــبتَ فَإِنَّمـــــا هِـــــيَ غَضـــــبَةٌ"
"فـــــي الحَـــــقِّ لا ضِـــــغنٌ وَلا بَغضـــــاءُ
وَإِذا رَضـــــيتَ فَـــــذاكَ فـــــي مَرضـــــاتِهِ"
"وَرِضـــــا الكَثيـــــرِ تَحَلُّـــــمٌ وَرِيـــــاءُ

وَإِذا خَطَبَتَ فَلِلمَنابِرِ هِزَّةٌ"
"تَعرو النَدِيَّ وَلِلقُلوبِ بُكاءُ
وَإِذا قَضَيتَ فَلا ارتِيابَ كَأَنَّما"
"جاءَ الخُصومَ مِنَ السَماءِ قَضاءُ
وَإِذا حَمَيتَ الماءَ لَم يورَد وَلَو"
"أَنَّ القَياصِرَ وَالمُلوكَ ظِماءُ
وَإِذا أَجَرتَ فَأَنتَ بَيتُ اللهِ لَم"
"يَدخُل عَلَيهِ المُستَجيرَ عَداءُ
وَإِذا مَلَكتَ النَفسَ قُمتَ بِبِرِّها"
"وَلَوَ اَنَّ ما مَلَكَت يَداكَ الشاءُ
وَإِذا بَنَيتَ فَخَيرُ زَوجٍ عِشرَةً"
"وَإِذا ابتَنَيتَ فَدونَكَ الآباءُ
وَإِذا صَحِبتَ رَأى الوَفاءَ مُجَسَّمًا"
"فَفي بُردِكَ الأَصحابُ وَالخُلَطاءُ
وَإِذا أَخَذتَ العَهدَ أَو أَعطَيتَهُ"
"فَجَميعُ عَهدِكَ ذِمَّةٌ وَوَفاءُ
وَإِذا مَشَيتَ إِلى العِدا فَغَضَنفَرٌ"
"وَإِذا جَرَيتَ فَإِنَّكَ النَكباءُ
وَتَمُدُّ حِلمَكَ لِلسَفيهِ مُداريًا"
"حَتّى يَضيقَ بِعَرضِكَ السُفَهاءُ
في كُلِّ نَفسٍ مِن سُطاكَ مَهابَةٌ"
"وَلِكُلِّ نَفسٍ في نَداكَ رَجاءُ
وَالرَأيُ لَم يُنضَ المُهَنَّدُ دونَهُ"
"كَالسَيفِ لَم تَضرِب بِهِ الآراءُ
يأَيُّها الأُمِيُّ حَسبُكَ رُتبَةً"
"في العِلمِ أَن دانَت بِكَ العُلَماءُ
الذِكرُ آيَةُ رَبِّكَ الكُبرى الَّتي"
"فيها لِباغي المُعجِزاتِ غَناءُ
صَدرُ البَيانِ لَهُ إِذا التَقَتِ اللُغى"
"وَتَقَدَّمَ البُلَغاءُ وَالفُصَحاءُ
نُسِخَت بِهِ التَوراةُ وَهيَ وَضيئَةٌ"
"وَتَخَلَّفَ الإِنجيلُ وَهوَ ذُكاءُ
لَمّا تَمَشّى في الحِجازِ حَكيمُهُ"
"فُضَّت عُكاظُ بِهِ وَقامَ حِراءُ
أَزرى بِمَنطِقِ أَهلِهِ وَبَيانِهِمْ"
"وَحيٌ يُقَصِّرُ دونَهُ البُلَغاءُ

حَسَدوا فَقالوا شاعِرٌ أَو ساحِرٌ"
"وَمِنَ الحَسودِ يَكونُ الاستِهزاءُ
قَد نالَ بِالهادي الكَريمِ وَبِالهُدى"
"ما لَم تَنَل مِن سُؤدُدٍ سيناءُ
أَمسى كَأَنَّكَ مِن جَلالِكَ أُمَّةٌ"
"وَكَأَنَّهُ مِن أُنسِهِ بَيداءُ
يوحى إِلَيكَ الفَوزُ في ظُلُماتِهِ"
"مُتَتابِعًا تُجلى بِهِ الظَلماءُ
دينٌ يُشَيَّدُ آيَةً في آيَةٍ"
"لَبِناتُهُ السوراتُ وَالأَدواءُ
الحَقُّ فيهِ هُوَ الأَساسُ وَكَيفَ لا"
"وَاللهُ جَلَّ جَلالُهُ البَنّاءُ
أَمّا حَديثُكَ في العُقولِ فَمَشرَعٌ"
"وَالعِلمُ وَالحِكَمُ الغَوالي الماءُ
هُوَ صِبغَةُ الفُرقانِ نَفحَةُ قُدسِهِ"
"وَالسينُ مِن سَوراتِهِ وَالراءُ
جَرَتِ الفَصاحَةُ مِن يَنابيعَ النُهى"
"مِن دَوحِهِ وَتَفَجَّرَ الإِنشاءُ
في بَحرِهِ لِلسابِحينَ بِهِ عَلى"
"أَدَبِ الحَياةِ وَعِلمِها إِرساءُ
أَتَتِ الدُهورُ عَلى سُلافَتِهِ وَلَم"
"تَفنَ السُلافُ وَلا سَلا النُدَماءُ
بِكَ يا ابنَ عَبدِ اللهِ قامَت سَمحَةٌ"
"بِالحَقِّ مِن مَلَلِ الهُدى غَرّاءُ
بُنِيَت عَلى التَوحيدِ وَهيَ حَقيقَةٌ"
"نادى بِها سُقراطُ وَالقُدَماءُ
وَجَدَ الزُعافَ مِنَ السُمومِ لِأَجلِها"
"كَالشَهدِ ثُمَّ تَتابَعَ الشُهَداءُ
وَمَشى عَلى وَجهِ الزَمانِ بِنورِها"
"كُهّانُ وادي النيلِ وَالعُرَفاءُ
إيزيسُ ذاتُ المُلكِ حينَ تَوَحَّدَت"
"أَخَذَت قِوامَ أُمورِها الأَشياءُ
لَمّا دَعَوتَ النَاسَ لَبّى عاقِلٌ"
"وَأَصَمَّ مِنكَ الجاهِلينَ نِداءُ
أَبَوا الخُروجَ إِلَيكَ مِن أَوهامِهِمْ"
"وَالنَاسُ في أَوهامِهِمْ سُجَناءُ

وَمِـــــــنَ العُقـــــــولِ جَـــــــداوِلٌ وَجَلامِـــــــدُ"
"وَمِـــــــنَ النُفـــــــوسِ حَرائِـــــــرٌ وَإِمـــــــاءُ
داءُ الجَماعَـــــــةِ مِـــــــن أَرِســـــــطاليسَ لَـــــــم"
"يوصَـــــــف لَـــــــهُ حَتّـــــــى أَتَيـــــــتَ دَواءُ
فَرَسَـــــــمتَ بَعـــــــدَكَ لِلعِبـــــــادِ حُكومَـــــــةً"
"لا ســـــــوقَةٌ فيهـــــــا وَلا أُمَـــــــراءُ
اللهُ فَـــــــوقَ الخَلـــــــقِ فيهـــــــا وَحـــــــدَهُ"
"وَالنـــــــاسُ تَحـــــــتَ لِوائِهـــــــا أَكفـــــــاءُ
وَالـــــــدينُ يُســـــــرٌ وَالخِلافَـــــــةُ بَيعَـــــــةٌ"
"وَالأَمـــــــرُ شـــــــورى وَالحُقـــــــوقُ قَضـــــــاءُ
الإِشـــــــتِراكِيّونَ أَنـــــــتَ إِمـــــــامُهُمْ"
"لَـــــــولا دَعـــــــاوي القَـــــــومِ وَالغُلَـــــــواءُ
داوَيـــــــتَ مُتَّئِـــــــدًا وَداوَوا ظَفـــــــرَةً"
"وَأَخَـــــــفُّ مِـــــــن بَعـــــــضِ الـــــــدَواءِ الـــــــداءُ
الحَـــــــربُ فـــــــي حَـــــــقٍّ لَـــــــدَيكَ شَـــــــريعَةٌ"
"وَمِـــــــنَ السُـــــــمومِ الناقِعـــــــاتِ دَواءُ
وَالبِـــــــرُّ عِنـــــــدَكَ ذِمَّـــــــةٌ وَفَريضَـــــــةٌ"
"لا مِنَّـــــــةٌ مَمنونَـــــــةٌ وَجَبـــــــاءُ
جـــــــاءَت فَوَحَّـــــــدَتِ الزَكـــــــاةُ سَـــــــبيلَهُ"
"حَتّـــــــى التَقـــــــى الكُرَمـــــــاءُ وَالـــــــبُخَلاءُ
أَنصَـــــــفَت أَهـــــــلَ الفَقـــــــرِ مِـــــــن أَهـــــــلِ الغِنـــــــى"
"فَالكُـــــــلُّ فـــــــي حَـــــــقِّ الحَيـــــــاةِ سَـــــــواءُ
فَلَـــــــوَ اَنَّ إِنســـــــانًا تَخَيَّـــــــرَ مِلَّـــــــةً"
"مـــــــا اختـــــــارَ إِلّا دينَـــــــكَ الفُقَـــــــراءُ
يأَيُّهـــــــا المُســـــــرى بِـــــــهِ شَـــــــرَفًا إِلـــــــى"
"مـــــــا لا تَنـــــــالُ الشَـــــــمسُ وَالجَـــــــوزاءُ
يَتَســـــــاءَلونَ وَأَنـــــــتَ أَطهَـــــــرُ هَيكَـــــــلٍ"
"بِـــــــالروحِ أَم بِالهَيكَـــــــلِ الإِســـــــراءُ
بِهِمـــــــا سَـــــــمَوتَ مُطَهَّـــــــرَينِ كِلاهُمـــــــا"
"نـــــــورٌ وَرَيحانِيَّـــــــةٌ وَبَهـــــــاءُ
فَضـــــــلٌ عَلَيـــــــكَ لِـــــــذي الجَـــــــلالِ وَمِنَّـــــــةٌ"
"وَاللهُ يَفعَـــــــلُ مـــــــا يَـــــــرى وَيَشـــــــاءُ
تَغشـــــــى الغُيـــــــوبَ مِـــــــنَ العَـــــــوالِمِ كُلَّمـــــــا"
"طُوِيَـــــــت سَـــــــماءٌ قُلِّـــــــدَتكَ سَـــــــماءُ
فـــــــي كُـــــــلِّ مِنطَقَـــــــةٍ حَواشـــــــي نورُهـــــــا"
"نـــــــونٌ وَأَنـــــــتَ النُقطَـــــــةُ الزَهـــــــراءُ

أَنـــــتَ الجَمـــــالُ بِهـــــا وَأَنـــــتَ المُجتَلـــــى"
"وَالكَـــــفُّ وَالمِـــــرآةُ وَالحَســـــناءُ
اللهُ هَيَّـــــأَ مِـــــن حَظيـــــرَةِ قُدسِـــــهِ"
"تَـــــزُلًا لِـــــذاتِكَ لَـــــم يَجُـــــزهُ عَـــــلاءُ
العَـــــرشُ تَحتَـــــكَ سُـــــدَّةً وَقَوائِمًـــــا"
"وَمَناكِـــــبُ الـــــروحِ الأَمـــــينِ وِطـــــاءُ
وَالرُســـــلُ دونَ العَـــــرشِ لَـــــم يُـــــؤذَن لَهُـــــمْ"
"حاشـــــا لِغَيـــــرِكَ مَوعِـــــدٌ وَلِقـــــاءُ
الخَيـــــلُ تَـــــأبى غَيـــــرَ أَحمَـــــدَ حامِيًـــــا"
"وَبِهـــــا إِذا ذُكِـــــرَ اســـــمُهُ خُـــــيَلاءُ
شَـــــيخُ الفَـــــوارِسِ يَعلَمـــــونَ مَكانَـــــهُ"
"إِن هَيَّجَـــــت آســـــادَها الهَيجـــــاءُ
وَإِذا تَصَـــــدّى لِلظُبـــــا فَمُهَنَّـــــدٌ"
"أَو لِلرِمـــــاحِ فَصَـــــعدَةٌ سَـــــمراءُ
وَإِذا رَمـــــى عَـــــن قَوسِـــــهِ فَيَمينُـــــهُ"
"قَـــــدَرٌ وَمـــــا تُرمـــــى اليَمـــــينُ قَضـــــاءُ
مِـــــن كُـــــلِّ داعـــــي الحَـــــقِّ هِمَّـــــةُ سَـــــيفِهِ"
"فَلِسَـــــيفِهِ فـــــي الراسِـــــياتِ مَضـــــاءُ
ســـــاقي الجَـــــريحِ وَمُطعِـــــمُ الأَســـــرى وَمَـــــن"
"أَمِنَـــــت سَـــــنابِكَ خَيلِـــــهِ الأَشـــــلاءُ
إِنَّ الشَـــــجاعَةَ فـــــي الرِجـــــالِ غَلاظَـــــةٌ"
"مـــــا لَـــــم تَزِنهـــــا رَأفَـــــةٌ وَسَـــــخاءُ
وَالحَـــــربُ مِـــــن شَـــــرَفِ الشُـــــعوبِ فَـــــإِن بَغَـــــوا"
"فَالمَجـــــدُ مِمّـــــا يَـــــدَّعونَ بَـــــراءُ
وَالحَـــــربُ يَبعَثُهـــــا القَـــــوِيُّ تَجَبُّـــــرًا"
"وَيَنـــــوءُ تَحـــــتَ بَلائِهـــــا الضُـــــعَفاءُ
كَـــــم مِـــــن غُـــــزاةٍ لِلرَســـــولِ كَريمَـــــةٍ"
"فيهـــــا رِضـــــىً لِلحَـــــقِّ أَو إِعـــــلاءُ
كانَـــــت لِجُنـــــدِ اللهِ فيهـــــا شِـــــدَّةٌ"
"فـــــي إِثرِهـــــا لِلعـــــالَمينَ رَخـــــاءُ
ضَـــــرَبوا الضَـــــلالَةَ ضَـــــربَةٌ ذَهَبَـــــت بِهـــــا"
"فَعَلـــــى الجَهالَـــــةِ وَالضَـــــلالِ عَفـــــاءُ
دَعَمـــــوا عَلـــــى الحَـــــربِ السَـــــلامَ وَطالَمـــــا"
"حَقَنَـــــت دِمـــــاءً فـــــي الزَمـــــانِ دِمـــــاءُ
الحَـــــقُّ عِـــــرضُ اللهِ كُـــــلُّ أَبِيَّـــــةٍ"
"بَـــــينَ النُفـــــوسِ حِمـــــىً لَـــــهُ وَوِقـــــارُ

هَـــــل كـــــانَ حَـــــولَ مُحَمَّـــــدٍ مِـــــن قَومِـــــهِ"
"إِلا صَـــــبِيٌّ واحِـــــدٌ وَنِســـــاءُ
فَـــــدَعا فَلَبّـــــى فـــــي القَبائِـــــلِ عُصـــــبَةٌ"
"مُستَضـــــعَفونَ قَلائِـــــلٌ أَنضـــــاءُ
رَدّوا بِبَـــــأسِ العَـــــزمِ عَنـــــهُ مِـــــنَ الأَذى"
"مـــــا لا تَـــــرُدُّ الصَـــــخرَةُ الصَـــــمّاءُ
وَالحَـــــقُّ وَالإِيمـــــانُ إِن صُـــــبّا عَلـــــى"
"بُـــــردٍ فَفيـــــهِ كَتيبَـــــةٌ خَرســـــاءُ
نَسَـــــفوا بِنـــــاءَ الشِـــــركِ فَهـــــوَ خَرائِـــــبٌ"
"وَاستَأصَـــــلوا الأَصـــــنامَ فَهـــــيَ هَبـــــاءُ
يَمشـــــونَ تُغضـــــي الأَرضُ مِـــــنهُمْ هَيبَـــــةً"
"وَبِهِـــــمْ جِيـــــالَ نَعيمِهـــــا إِغضـــــاءُ
حَتّـــــى إِذا فُتِحَـــــت لَهُـــــمْ أَطرافُهـــــا"
"لَـــــم يُطغِهِـــــمْ تَـــــرَفٌ وَلا نَعمـــــاءُ
يـــــا مَـــــن لَـــــهُ عِـــــزُّ الشَـــــفاعَةِ وَحـــــدَهُ"
"وَهـــــوَ المُنَـــــزَّهُ مـــــا لَـــــهُ شُـــــفَعاءُ
عَـــــرشُ القِيامَـــــةِ أَنـــــتَ تَحـــــتَ لِوائِـــــهِ"
"وَالحَـــــوضُ أَنـــــتَ حِيالَـــــهُ السَـــــقاءُ
تَـــــروي وَتَســـــقي الصـــــالِحينَ ثَـــــوابَهُمْ"
"وَالصـــــالِحاتُ ذَخـــــائِرٌ وَجَـــــزاءُ
أَلِمِثـــــلِ هَـــــذا ذُقـــــتَ فـــــي الـــــدُنيا الطَـــــوى"
"وَانشَـــــقَّ مِـــــن خَلَـــــقٍ عَلَيـــــكَ رِداءُ
لـــــي فـــــي مَـــــديحِكَ يـــــا رَســـــولُ عَـــــرائِسٌ"
"تُـــــبِّمنَ فيـــــكَ وَشـــــاقَهُنَّ جَـــــلاءُ
هُـــــنَّ الحِســـــانُ فَـــــإِن قَبِلـــــتَ تَكَرُّمًـــــا"
"فَمُهـــــورُهُنَّ شَـــــفاعَةٌ حَســـــناءُ
أَنـــــتَ الَّـــــذي نَظَـــــمَ البَرِيَّـــــةَ دينُـــــهُ"
"مـــــاذا يَقـــــولُ وَيَـــــنظُمُ الشُـــــعَراءُ
المُصـــــلِحونَ أَصـــــابِعٌ جُمِعَـــــت يَـــــدًا"
"هِـــــيَ أَنـــــتَ بَـــــل أَنـــــتَ اليَـــــدُ البَيضـــــاءُ
مـــــا جِئـــــتُ بابَـــــكَ مادِحًـــــا بَـــــل داعِيًـــــا"
"وَمِـــــنَ المَـــــديحِ تَضَـــــرُّعٌ وَدُعـــــاءُ
أَدعـــــوكَ عَـــــن قَـــــومي الضِـــــعافِ لِأَزمَـــــةٍ"
"فـــــي مِثلِهـــــا يُلقـــــى عَلَيـــــكَ رَجـــــاءُ
أَدرى رَســـــولُ اللهِ أَنَّ نُفوسَـــــهُمْ"
"رَكِبَـــــت هَواهـــــا وَالقُلـــــوبُ هَـــــواءُ

مُتَفَكِّـــــــــونَ فَمـــــــــا تَضُـــــــــمُّ نُفوسَـــــــــهُمْ
"ثِقَـــــــةٌ وَلا جَمَـــــــعَ القُلـــــــوبَ صَـــــــفاءُ
رَقَـــــــدوا وَغَـــــــرَّهُمُ نَعـــــــيمٌ باطِـــــــلٌ"
"وَنَعـــــــيمُ قَـــــــومٍ فـــــــي القُيـــــــودِ بَـــــــلاءُ
ظَلَمـــــــوا شَـــــــريعَتَكَ الَّتـــــــي نِلنـــــــا بِهـــــــا"
"مـــــــا لَـــــــم يَنَـــــــل فـــــــي رومَـــــــةَ الفُقَهـــــــاءُ
مَشَـــــــتِ الحَضـــــــارَةُ فـــــــي سَـــــــناها وَاهتَـــــــدى"
"فـــــــي الـــــــدينِ وَالـــــــدُنيا بِهـــــــا السُـــــــعَداءُ
صَـــــــلّى عَلَيـــــــكَ اللهُ مـــــــا صَـــــــحِبَ الـــــــدُجى"
"حـــــــادٍ وَحَنَّـــــــت بِـــــــالفَلا وَجِنـــــــاءُ
وَاســـــــتَقبَلَ الرِضـــــــوانَ فـــــــي غُرُفـــــــاتِهِمْ"
"بِجِنـــــــانِ عَـــــــدنٍ آلُـــــــكَ السُـــــــمَحاءُ
خَيـــــــرُ الوَســـــــائِلِ مَـــــــن يَقَـــــــع مِـــــــنهُم عَلـــــــى"
"سَبَبٍ إِلَيكَ فَحَسبِيَ الزَهراءُ

محمود سامي البارودي

أَقِلَّا مَلامِي فِي هَوَى الشَّادِنِ الأَحْوَى

أَقِلَّا مَلامِي فِي هَوَى الشَّادِنِ الأَحْوَى   فَقَلْبِي عَلَى حَمْلِ الْمَلامَةِ لا يَقْوَى
كَفَى بِالْهَوَى شُغْلاً عَنِ اللَّوْمِ بِامْرِئٍ   بَرَاهُ الضَّنَى وَاسْتَمْطَرَتْ عَيْنَهُ الْبَلْوَى
فَلَيْسَ الْهَوَى سَهْلاً فَأَلْوِي عِنَانَهُ   وَإِنْ كُنْتُ يَوْمَ الرَّوْعِ ذَا مِرَّةٍ أَلْوَى
هُوَ الْحُبُّ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَلَنْ تَرَى   لَئِيماً يَنَالُ السَّبْقَ فِي الْفَضْلِ أَوْ يَهْوَى
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَقْوَى عَلَى دَفْعِ مَا أَتَى   بِهِ الْحُبُّ مِنْ جَوْرٍ وَسُلْطَانُهُ أَقْوَى
سَبُوقٌ إِذَا جَارَى لَحُوقٌ إِذَا هَوَى   غَلُوبٌ إِذَا بَادَى قَتُولٌ إِذَا أَهْوَى
لَهُ سُورَةٌ لَوْ صَادَمَتْ رُكْنَ يَذْبُلٍ   وَرَضْوَى لَهَدَّتْ يَذْبُلاً وَمَحَتْ رَضْوَى
فَحَتَّامَ يَلْحَانِي الْعَذُولُ عَلَى الْهَوَى   أَلَيْسَ يَرَى مَا بِي فَيَجْتَنِبَ الشَّكْوَى
لَقَدْ سَامَنِي طَيَّ الْغَرَامِ وَمَا دَرَى   بِأَنَّ الْهَوَى الْعُذْرِيَّ يَكْبُرُ أَنْ يُطْوَى
وَبِي بَلْ بِقَوْمِي الأَكْرَمِينَ خَرِيدَةٌ   إِذَا سَفَرَتْ كَادَتْ لَهَا الشَّمْسُ أَنْ تَضْوَى
مِنَ الْغِيدِ كَحْلاءُ الْمَحَاجِرِ لَوْ رَنَتْ   إِلَى الْقَسِّ فِي نَامُوسِهِ أَخْطَأَ النَّجْوَى
تُمِيتُ وَتُحْيِي مَنْ تَشَاءُ بِلَحْظِهَا   فَمِنْ عَاشِقٍ يَحْيَا وَمِنْ عَاشِقٍ يَثْوَى
بَعَثْتُ لَهَا قَلْبِي عَلَى إِثْرِ لَحْظَةٍ   فَمَا عَادَ إِلَّا وَهْوَ بِالْحُسْنِ مُسْتَهْوَى
وَأَفْنَيْتُ عُمْرِي فِي رِضَاهَا فَلَمْ أَنَلْ   سِوَى رَاحَةٍ تَرْتَدُّ أَوْ عِدَةٍ تُلْوَى
وَأَصْبَحْتُ مَغْلُوبَ الرَّشَادِ وَقَلَّمَا   يَعُودُ رَشِيداً صَالِحَ الْعَقْلِ مَنْ يَغْوَى
خَضَعْتُ لأَحْكَامِ الْهَوَى وَلَطَالَمَا   أَبَيْتُ فَلَمْ أَخْضَعْ لِمَنْ يَهَبُ الْجَدْوَى
وَإِنِّي امْرُؤٌ لَوْلَا الْهَوَى مَا وَجَدْتَنِي   أَدِينُ لِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ أَرْهَبُ الْعَدْوَى
بَعِيدُ مَنَاطِ الْهَمِّ تُرْهَبُ صَوْلَتِي   إِذَا مَا دَجَا خَطْبٌ وَبَادِرَتِي تُرْوَى
لِسَانِي خَلُوبٌ فِي الْجِدَالِ وَصَارِمِي   رَسُوبٌ وَرَأْيِي مِنْ سَمَاءِ الضُّحَى أَضْوَى
وَعِنْدِي إِذَا مَا الْحَرْبُ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا   عَزِيمَةُ لَيْثٍ مَا تَهِرُّ وَمَا تُعْوَى
وَحِلْمُ كَرِيمٍ يَمْلأُ الْغَيْظُ قَلْبَهُ   فَيَكْظِمُهُ وَالْحِلْمُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى
وَعِفَّةُ نَفْسٍ لا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ   وَجُودٌ بِهِ ظَلَّتْ عُفَاةُ النَّدَى تَرْوَى
وَلِي هِمَّةٌ لَوْلَا الْعَوَائِقُ مَهَّدَتْ   يَدُ الْمَجْدِ فِي أُفْقِ السَّمَاءِ لَهَا مَثْوَى
بَلَغْتُ بِهَا بَعْضَ الْمُنَى غَيْرَ أَنَّنِي   جَدِيرٌ بِأَنْ أَحْوِي بِهَا كُلَّ مَا أَهْوَى
فَإِنْ سَادَ غَيْرِي بِالْجُدُودِ فَإِنَّنِي   بِهِمْ وَبِفَضْلِي رِشْتُ سَهْمِي فَمَا أَشْوَى
وَلَيْسَ عُلُوُّ النَّفْسِ بِالْجَدِّ وَحْدَهُ   وَلَيْسَ كَمَالُ الْمَرْءِ فِي شَرَفِ الْمَأْوَى
إِذَا حَرَّكَتْنِي نَحْوَ أَرْضٍ وَتِيرَةٌ   رَكِبْتُ لَهَا عَزْمِي وَإِنْ بَعُدَ الْمَهْوَى

فَإِنْ كَانَ سَوَّى الدَّهْرُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَرَى مِنْ بَنِيهِ فِي الْحُظُوظِ فَمَا سَوَّى

بَرِئْتُ مِنَ الْغِلِّ الَّذِي أَصْبَحَتْ بِهِ قُلُوبُهُمُ مِنْ شَرِّ مَا حَمَلَتْ تَدْوَى

نَصَحْتُ وَغَشُّوا وَاسْتَقَمْتُ وَرَاوَغُوا وَهَلْ مَنْ هَدَى بَيْنَ الأَنَامِ كَمَنْ أَغْوَى

وَإِنِّي إِذَا مَا الْخَطْبُ أَمْقَرَ طَعْمُهُ نَبَذْتُ بِهِ رَأْيَاً أَلَذَّ مِنَ السَّلْوَى

أَصَبْتُ كُلَى الأَحْدَاثِ حَتَّى تَرَكْتُهَا عَلَى جَمَرَاتِ الْغَيْظِ تَأْمُورُهَا يُشْوَى

وَصُغْتُ مِنَ السِّحْرِ الْحَلالِ قَصَائِدَاً تَظَلُّ بِهَا نَفْسُ الْمُعِيدِ لَهَا نَشْوَى

فَمَا قَيَّدَتْنِي لَفْظَةٌ دُونَ حِكْمَةٍ وَلا غَرَّنِي قَوْلٌ فَمِلْتُ إِلَى الدَّعْوَى

وَيَا طَالَمَا رُمْتُ الْقَوَافِي فَأَقْبَلَتْ سِرَاعاً فَلا أَرْوَى ذَكَرْتُ وَلا حُزْوَى

فَلا يَحْذُوَنَّ النَّاسُ حَذْوَ بَلاغَتِي فَأَقْرَبُ مَا فِي شَأْوِهَا الْغَايَةُ الْقُصْوَى

حافظ ابراهيم

(وُلد بأسيوط 1872

وتوفي بالقاهرة في 1932)

وَقَفَ الخَلقُ يَنظُرونَ جَميعاً

كَيفَ أَبني قَواعِدَ المَجدِ وَحدي
وَبُناةُ الأَهرامِ في سالِفِ الدَه رِ كَفَوني الكَلامَ عِندَ التَحَدّي
أَنا تاجُ العَلاءِ في مَفرِقِ الشَر قِ وَدُرّاتُهُ فَرائِدُ عِقدي
أَيُّ شَيءٍ في الغَربِ قَد بَهَرَ النا سَ جَمالاً وَلَم يَكُن مِنهُ عِندي
فَتُرابي تِبرٌ وَنَهري فُراتٌ

وَسَمائي مَصقولَةٌ كَالفِرِندِ
أَينَما سِرتَ جَدوَلٌ عِندَ كَرمٍ

عِندَ زَهرٍ مُذَنَّرٍ عِندَ رَندِ
وَرِجالي لَو أَنصَفوهُم لَسادوا

مِن كُهولٍ مِلءِ العُيونِ وَمُردِ
لَو أَصابوا لَهُم مَجالاً لَأَبدَوا

مُعجِزاتِ الذَكاءِ في كُلِّ قَصدِ
إِنَّهُم كَالظُبا أَلَحَّ عَلَيها

صَدَأُ الدَهرِ مِن ثَواءٍ وَغِمدِ
فَإِذا صَيقَلُ القَضاءِ جَلاها

كُنَّ كَالمَوتِ ما لَهُ مِن مَرَدِّ
أَنا إِن قَدَّرَ الإِلَهُ مَماتي

لا تَرى الشَرقَ يَرفَعُ الرَأسَ بَعدي
ما رَماني رامٍ وَراحَ سَليماً

مِن قَديمٍ عِنايَةُ اللَهُ جُندي
كَم بَغَت دَولَةٌ عَلَيَّ وَجارَت

ثُمَّ زالَت وَتِلكَ عُقبى التَعَدّي
إِنَّني حُرَّةٌ كَسَرتُ قُيودي

رَغمَ رُقبى العِدا وَقَطَّعتُ قِدّي
وَتَماثَلتُ لِلشِفاءِ وَقَد دا نَيتُ حَيني وَهَيَّأَ القَومُ لَحدي
قُل لِمَن أَنكَروا مَفاخِرَ قَومي

مِثلَ ما أَنكَروا مَآثِرَ وُلدي
هَل وَقَفتُم بِقِمَّةِ الهَرَمِ الأَك بَرِ يَوماً فَرَيتُمُ بَعضَ جُهدي
هَل رَأَيتُم تِلكَ النُقوشَ اللَواتي أَعجَزَت طَوقَ صَنعَةِ المُتَحَدّي
حالَ لَونُ النَهارِ مِن قِدَمِ العَه دِ وَما مَسَّ لَونَها طولُ عَهدِ
هَل فَهِمتُم أَسرارَ ما كانَ عِندي مِن عُلومٍ مَخبوءَةٍ طَيَّ بَردي
ذاكَ فَنُّ التَحنيطِ قَد غَلَبَ الدَه رَ وَأَبلى البِلى وَأَعجَزَ نِدّي
قَد عَقَدتُ العُهودَ مِن عَهدِ فِرعَو نَ فَفي مِصرَ كانَ أَوَّلُ عَقدِ
إِنَّ مَجدي في الأَولَياتِ عَريقٌ مَن لَهُ مِثلَ أَولَياتي وَمَجدي
أَنا أُمُّ التَشريعِ قَد أَخَذَ الرو مانُ عَنّي الأُصولَ في كُلِّ حَدِّ
وَرَصَدتُ النُجومَ مُنذُ أَضاءَت في سَماءِ الدُجى فَأَحكَمتُ رَصدي
وَشَدا بَنتَئورَ فَوقَ رُبوعي قَبلَ عَهدِ اليونانِ أَو عَهدِ نَجدِ
وَقَديماً بَنى الأَساطيلَ قَومي فَفَرَقنَ البِحارَ يَحمِلنَ بَندي
قَبلَ أُسطولِ نِلسُنٍ كانَ أُسطو لي سَرِيّاً وَطالِعي غَيرَ نَكدِ
فَسَلوا البَحرَ عَن بَلاءِ سَفيني وَسَلوا البَرَّ عَن مَواقِعِ جُردي
أَتُراني وَقَد طَوَيتُ حَياتي في مِراسٍ لَم أَبلُغِ اليَومَ رُشدي
أَيُّ شَعبٍ أَحَقُّ مِنّي بِعَيشٍ وارِفِ الظِلِّ أَخضَرِ اللَونِ رَغدِ
أَمِنَ العَدلِ أَنَّهُم يَردونَ ال ماءَ صَفواً وَأَن يُكَدَّرَ وِردي
أَمِنَ الحَقِّ أَنَّهُم يُطلِقونَ ال أُسدَ مِنهُم وَأَن تُقَيَّدَ أُسدي
نِصفُ قَرنٍ إِلّا قَليلاً أُعاني ما يُعاني هَوانَهُ كُلُّ عَبدِ
نَظَرَ اللَهُ لي فَأَرشَدَ أَبنا ئي فَشَدّوا إِلى العُلا أَيَّ شَدِّ
إِنَّما الحَقُّ قُوَّةٌ مِن قُوى الدَي يانِ أَمضى مِن كُلِّ أَبيَضَ هِندي
قَد وَعَدتُ العُلا بِكُلِّ أَبِيٍّ مِن رِجالي فَأَنجِزوا اليَومَ وَعدي
أَمهِروها بِالروحِ فَهيَ عَروسٌ تَسنَأُ المَهرَ مِن عُروضٍ وَنَقدِ
وَرِدوا بي مَناهِلَ العِزِّ حَتّى يَخطُبَ النَجمُ في المَجَرَّةِ وُدّي
وَارفَعوا دَولَتي عَلى العِلمِ وَالأَخ لاقِ فَالعِلمُ وَحدَهُ لَيسَ يُجدي
وَتَواصَوا بِالصَبرِ فَالصَبرُ إِن فا رَقَ قَوماً فَما لَهُ مِن مَسَدِّ
خُلُقُ الصَبرِ وَحدَهُ نَصَرَ القَو مَ وَأَغنى عَنِ اِختِراعٍ وَعَدِّ
شَهِدوا حَومَةَ الوَغى بِنُفوسٍ صابِراتٍ وَأَوجُهٍ غَيرِ رُبدِ
فَمَحا الصَبرُ آيَةَ العِلمِ في الحَر بِ وَأَنحى عَلى القَوِيِّ الأَشَدِّ
إِنَّ في الغَربِ أَعيُناً راصِداتٍ كَحَلَتها الأَطماعُ فيكُم بِسُهدِ
فَوقَها مِجهَرٌ يُريها خَفايا كَم وَيَطوي شُعاعُهُ كُلَّ بُعدِ
فَاِتَّقوها بِجُنَّةٍ مِن وِئامٍ غَيرِ رَثِّ العُرا وَسَعيٍ وَكَدِّ
وَاِصفَحوا عَن هَناتِ مَن كانَ مِنكُم رُبَّ هافٍ هَفا عَلى غَيرِ عَمدِ
نَحنُ نَجتازُ مَوقِفاً تَعثُرُ الآ راءُ فيهِ وَعَثرَةُ الرَأيِ تُردي
وَنُعيرُ الأَهواءَ حَرباً عَواناً مِن خِلافٍ وَالخُلفُ كَالسِلِّ يُعدي
وَتُثيرُ الفَوضى عَلى جانِبَيهِ فَيُعيدُ الجَهولُ فيها وَيُبدي

وَيَظُنُّ الغَوِيُّ أَن لا نِظامٌ وَيَقولُ القَوِيُّ قَد جَدَّ جِدّي
فَقِفوا فيهِ وَقفَةَ الحَزمِ وَارموا جانِبَيهِ بِعَزمَةِ المُستَعِدّ
إِنَّنا عِندَ فَجرِ لَيلٍ طَويلٍ قَد قَطَعناهُ بَينَ سُهدٍ وَوَجدِ
غَمَرَتنا سودُ الأَهاويلِ فيهِ وَالأَمانِيُّ بَينَ جَزرٍ وَمَدّ
وَتَجَلّى ضِياؤُهُ بَعدَ لَأيٍ وَهوَ رَمزٌ لِعَهدِيَ المُستَرَدّ
فَاِستَبينوا قَصدَ السَبيلِ وَجِدّوا فَالمَعالي مَخطوبَةٌ لِلمُجِدّ

عروة وعفراء

لبشارة الخوري (الأخطل الصغير)

(وُلد ببيروت 1885

وتوفي ببيروت في 1968)

مهد الغرام ومسرح الغزلان
حيث الهوى ضرب من الإيمانِ
يتعانق الروحان فيه صبابةً ،
ويعفُّ أن يتعانق الجسدان
فإذا سمعت بعاشقين، فقل هما
ملكان متصلان منفصلان
ما دار ثم سوى الحديث، كأنّه
راح يدير كؤوسها الملكان
*** * * ***
سل عروة بن حزام عن غصص الهوى
تسمع جواب فتى الغرام العاني
تحنان ساجعة الحمائم في الضحى
وزفير أعواد الجحيم الثاني
وله حديث ، كالدموع إذا جرت
جذبت نظائرها من الأجفان
علم الهوى ، من آل عذرة ، عروة !
كذب الألى قالوا لها علمان
*** * ***
ولد الفتى العذري عروة ، بعدما
دارت بوالده رحى الحدثان
فإذا بعروة في مضارب عمه
((هصر)) ، فكان هناك زغلولان
عفراء ، ابنته ، مع ابن شقيقه
وكلاهما في العمر دون ثمان
وإذا تضمهما الحقول ، فإنما
ظُفرت بمائستين من ريحان
يتراكضان بها – فإن هما بوغتا
فيها – فالأوراق يختبئان

ولطالما وقفا على الوادي وقد
صرخا هناك ليلتقي الصديان
لم يلبسا ريش الهوى لكنما
هو ريش أحلام وريش أماني
***
مزجاً ، فلو خطرت لعفراً فكرة ،
بدرت بها من عروة الشفتان
وإذا التقى النظران تلمع أسطر
يعيا بحل رموزها الولدان
حتى إذا كبرا تولى شرح ما
لم يفهما قلباهما الخفقان
فإذا الوداد هوى وصادف تربة
بكراً ، فطاب مغارساً ومجاني

ويح المحب إذا تملكه الهوى
نمت به عينان فاضحتان
عبثاً يحاول ذو الهوى كتمانه
عبث الهوى يقوى على الكتمان
فدرى به هصر – وكان يسؤوه ،
من عروة ابن شقيقه ، يتمان
وأهم يتمي عروة في عينه
يتم الغنى – لو يسمع الأبوان
فشكا ، إليه منه حب فتاته ،
شفتان تختلجان تختذلان
فأجابه هصر – وكان مخاتلاً –
ستنال من تهوى ، فكن بأمان
***
نعمى على كبد الفتى سقطت ، كما
سقط الندى سحراً على حران
فأحس أن له جناحي طائر
وبدت له زهر النجوم دواني
فجرى يرقص عوده الشعري على
صدر المروج ومعصم الغدران
فيصوغ هيمنة النسيم قصائداً
ويرد زمزمة الغدير أغاني
ما راعه إلا مقالة عمه :

إني أراك عن الغنى متواني
سر للشآم بمتجر .. فأطاعه
وعصى الفؤاد فظل في الأوطان
***
بينا الفتى في الشام يكدح للغنى
كانت حبيبته تزف لثاني
فتنت محاسنها أثالة وهو من
هصر له نسبان ملتزمان
نسب الدماء وفوقه نسب الغنى
نسبان محبوبان محترمان
فأناله عفراء ، صفقة تاجر
حسب البنات ملابساً وأواني

ما خطب هذا ، وهو أهول ما رأت
عين وما سمعت به أذنان
بأشد من قول الرواة لعروة:
عفراء أمست زوجة لفلان ...
خلع النحول عليه أفجع ما ارتأى
داء ، وأبلى ما اكتساه عان
سقم به مثلاً تناقله ، إلى
أقصى القبائل ، ألسن الركبان
***
ما حاضر الروحاء ، دون مناله
وخد السرى في الأمعز الصوان
ليحول دون فتى الهوى وفتاته
إن الهوى ضرب من الطيران
فمشى إلى أرض الحبيب ، دليله
عينان إنساناهما غرقان
يلقي القصائد في الطريق ، وحشوها
أنفاس مكلوم الحشا ، ولهان

ودرى أثالة أن عروة في الحمى
وبما بعروة من هوى وهوان
وأثالة رجل المحامد ، بيته

بيت الفخار وملتقى الضيفان
فابت مرؤته عليه ، أن يرى
رجلاً كعروة مبعداً متداني
فمشى إليه عاتباً : أتكون في
بلدي وليس لخيمتي وخواني ؟..
إني عزمت عليك أنك نازل
عندي ، وإلا ساءني حرماني
– عذراً فإني راجع لحوادث
نزلت بنا ما كن في الحسبان
لا عذر .. لا ، لا عذر – أنظرني إذاً
لغد – إذاً فجر النهار الثاني
وتفارقا ، فإذا بعروة رجمة
تهوي ، عليها انقض صاعقتان
وأشار نحو أثالة بجفونه :
سترى المروءة أننا كفؤان ..
هجر الديار لوقته ، تسعى به
قدمان هازلتان شاكيتان
هجر الديار ، ديار عفراء التي
طبعت حشاشته على الأحزان
حتى إذا وادي القرى رحبت به
رحبت بشلو لف في أكفان
جثمانه في القبر ، لكن روحه
أبداً مرفرفة على الوديان
***
رن النعي بأذن عفراء ، فهل
شاهدت غصناً من رطيب البان
لعبت به هوج العواصف ، فالتوى
متقصفاً و أصيب بالرجفان
هي مثله ، حاشا الدموع وأنة
من صدر محتضر به جرحان
فأتت أثالة ، والدموع سوابح ،
فتلثم الفضي بالمرجاني
قالت : لتعلم أن عروة كان لي
إلفاً ونحن وعروة حدثان
وعلمت أن هواه لا عن ربية
يخزى بها رجلي ويخفض شاني

هلا أذنت بأن أزور ترابه
أفما أبي وأبو الفتى أخوان ؟ ..
– من ذا يمانع أن تفيه حقه
سيري . فما هي غير بعض ثوان
حتى رأيت بقبر عروة بانة
محنية – وا لهفتا للبان ...

والهفتاه؛ وبم تتم كلامها

حتى ارتمت فإذا هنا ميتان

ضموا الفتاة إلى الفتى في حفرة
من فوقها غصنان ملتفان
روحان ضمما الهوى فتعانقا
وتعاهداً فتعانق الكفنان
****

وقفنا عند مرآه

رشيد أيوب

(وُلد في لبنان 1871

وتوفي بنيويورك في 1941)

وقَفَنَا عند مرآه ... حَيَارَى ما عرَفنَاهُ

عجيبٌ فى مَعانيهِ ... غريبٌ فى مَزَاياهُ

لَهُ سِربالُ جوّابِ ... غُبارُ الدّهر غشّاهُ

وَوَجهٌ لَوّحَتهُ الشم ... سُ غارَت فِيهِ عينَاهُ

سألنَا الناسَ مَن هذا ... فقالوا يعلمُ اللهُ

فلا ندري بما فيهِ ... ويسهو إن سألنَاهُ

كأن فى صدره سرٌّ ... وذاك السرّ ينهاهُ

إذا ما جَنّهُ ليل ... ترَامَت فِيهِ نجوَاهُ

فيرعى النجمَ إذ يَبدو ... كأنّ النجمَ مَغنَاهُ

تَرَاهُ إن سرَى بَرقٌ ... تمَنّاهُ مَطَاياهُ

وإن أصغى لصَوتِ النّا ... يِ أشجَاهُ وأبكاهُ

إذا أعطيتَهُ شيئاً ... أبت جَدواكَ كفّاهُ

وفى الدّنيَا لأهليهَا ... حُطامٌ ما تمنّاهُ

ألا يا ساكنى الدّنيَا ... تعالوا استنطقوا فاهُ

سلوهُ ربّما المسكين ... سوء الحظّ أقصاهُ

فقالوا إنّهُ صَبّ ... وفرطُ الحُبَّ أضنَاهُ

وقالوا شاعرٌ يَشكو ... فما تُجديهِ شَكواهُ

وقالوا زاهدٌ لمّا ... رأوه عافَ دُنيَاهُ

ومنهم قال درويشٌ	غريبٌ ضاعَ مأواهُ
سألنَاه بلا جَدوى	وولَّى ما عرفناهُ

سفر أيوب

بدر شاكر السياب

(وُلد بقرية جيكور بالعراق 1926
وتوفي بالكويت في 1964)

لك الحمد مهما استطال البلاء
ومهما استبدّ الألم،
لك الحمد، إن الرزايا عطاء
وان المصيبات بعض الكرم .
ألم تُعطنى أنت هذا الظلام
وأعطيتنى أنت هذا السّحر؟
فهل تشكر الأرض قطر المطر
وتغضب إن لم يجدها الغمام؟
شهور طوال وهذي الجراح
تمزّق جنبى مثل المدى
ولا يهدأ الداء عند الصباح
ولا يمسح اللّيل أو جاعه بالردى .
ولكنّ أيّوب إن صاح صاح :
»لك الحمد، ان الرزايا ندى،
وإنّ الجراح هدايا الحبيب
أضمّ إلى الصّدر باقاتها
هداياك فى خافقى لا تغيب،
هداياك مقبولة. هاتها «!
أشد جراحى وأهتف
بالعائدين :
»ألا فانظروا واحسدونى،
فهذى هدايا حبيبى

وإن مسّت النار حرّ الجبين
توهّمتُها قُبلة منك مجبولة من لهيب .
جميل هو السّهدُ أرعى سماك
بعينيّ حتى تغيب النجوم
ويلمس شبّاك داري سناك .
جميل هو الليل: أصداء بوم
وأبواق سيارة من بعيد
وآهاتُ مرضى، وأم تُعيد
أساطير آبائها للوليد .
وغابات ليل السُّهاد، الغيوم
تحجّبُ وجه السماء
وتجلوه تحت القمر .
وإن صاح أيوب كان النداء :
»لك الحمد يا رامياً بالقدر
ويا كاتباً، بعد ذاك، الشّفاء «!
*
لندن 1962/12/26

علي جعفر العلاق

سيّدة الفوضى

من أين جاءت
هذه السيدة؟
فحركت
غدراننا الراكدة؟
الم يصح
فى وجهها عاذل
الم تخف من ريحنا الباردة؟
نشهد أنّا ما رأينا هوى
مثل هواها
قيل ألقت بها
قبيلة، ألقى بها مركب
مطارد
بل قيل ألقت بها
سحابة
خفيفة
صاعدة
يقال
أو قيل
ولكنها
أشاعت الفوضى
كما تشتهى
وأجرت الريح

كما تشتهى
وأيقظت
قطعاننا كلها
وأشغلتنا
دفعة واحدة ...
من أين
جاءت تلكم السيدة؟
وأين غابت
تلكم السيدة؟
قالت
وداعا
ثم لم تلتفت
لريحنا المهمومة
الباردة....

الشعر

حين فاجأنى الحلم
وانكسرت سعفة الغيم
طاردنى الشعر
طاردته
هاربا
من دخان يديه
والتجأت إلى الجن ....

أضرمت الجن فى جسدي النار

أهدت رمادي

إليه.....

الميـت

شعر :عزت الطيري

خرج من المقبرة
وجد البيت تهدم
والزوجــة
صارت زوجاَ
لعـدوه
والأولاد اقتتلوا
حتى الموت على الميراث
ورفاق الحانة والسوء اتعظوا
واعتصموا
بصلاة وسجود
وعيال الشارع صاروا آباء
لعيال يجرون وراءه
ويصيحون
المجنون
المجنون !!
فانسل
وحيدا
واتجه الى المقبرة
تدثر بتراب
والموتى يندهشون
يصيحون
المجنون
المجنون

اللص

نظر إلى وجه الماء
فشاهد صورته تتلألأ
أعجبه الشكل ، فخطف الصورة
من وجه الماء وطار!! ...

محمود مغربي
تأملات طائر

قـــــــــديماً ..
قـــــــــدَّمَتْ فتنتهـــــــــا
للصـــــــــبية الصـــــــــغارِ
للصـــــــــوصِ ..
لعـــــــابرِ الســـــــبيلِ ..
واليـــــــومَ ..
لا أحـــــــدْ ..
لا أحـــــــدْ ..
فقـــــــطْ ..
بعـــــضُ ذكـــــرى ..
وصـــــمتٌ طـــــويلْ !

***

الصـــــــــباح
الـــــذى كـــــم تباهـــــتْ بـــــه
تمامًـــــــا تلاشـــــــى
رغـــــم ذلـــــك ..
لســـــــلطانِهَا
ســـــطوةٌ فـــــى قلـــــبِ عُشّـــــاقِها !

***

طـــــــائرى العنيـــــــدْ
مـــــــا زال يبحـــــــثُ
عـــــــن شُـــــــجيْرَةٍ
ونافـــــــذةْ ..
ليـــــــبدأَ الغنـــــاءْ !

***

شـــــــــــــــــهرَزادْ
ودَّعَـــــــــــــتْ بســـــــــــــتانَها
حكاياهـــــــــــــــا
رغـــــــــم ذلـــــــــكْ ..
تُهَنـــــــدسُ المســـــاءَ فـــــى هـــــدوء !

***

إلـــــــــــى حَتْفِـــــــــــهِ يمضـــــــــــى
إلا مـــــــــــــن جِراحِـــــــــــــهِ
وبقايـــــــــا حَـــــــــرَسْ !

***

الصـــــــــــبابةُ ..
خبأهـــــــا الحُـــــــرَّاسُ فـــــــى الخـــــــرابْ ؛؛
لا شـــــــــمعَةٌ هنـــــــــاكْ ..
لا رفيـــــــــــقْ !

***

ناديـــــــــــتُ يـــــــــا ســـــــــحابةْ
أمطـــــــــــرى ..
خُـــــــــذى نصـــــــــفَ عمـــــــــرى
وأمطـــــــــــــرى فقـــــــــــطْ
لأُنْقِـــــذَ مـــــا تبقَّـــــى مـــــن صِـــــبَاى !

***

السـنـدبادُ
فـارعُ اليـدين فـي منفـاهُ ..
يُسـائِلُ الجمـوعْ :
مَـنْ يُعيرنـي قيثـارةً ..
كـي أرمّـمَ مـا تبقّـى مـن جَنـاحْ !

***

النـاسُ فـي كـلَّ مـرّةٍ ..
يَسْـرقونَ الخُبْـزَ ..
وأنـتَ هنـاكَ تسـرقُ النـارَ ..
تشـعلُ عتمـةً
تسـتعيدُ الصـغارَ
واحـدًا
واحـدًا ..
كيما تعيدُ للبستانِ رَقصتهْ !

صلاح عبدالصبور

زيارة الموتى

زرنـــا موتانـــا فـــي يـــوم العيـــد
وقرأنـــــــا فاتحـــــــة القـــــــرآن،
ولملمنـــا أهـــداب الـــذكرى
وبسطناها في حضن المقبرة الريفيـة
وجلســنا، كســرنا خبــزاً وشــجوناً
وتســـاقينا دمعـــاً و أنينـــاً
وتصافحنا، وتواعدنا، وذوي قربانـا
أن نلقـــــى موتانـــــا
فـــي يـــوم العيـــد القـــادم .
يـــــا موتانـــــا
كانـــت أطيـــافكم تأتينـــا
عبـــر حقـــول القمـــح الممتـــدة
ما بين تلال القرية حيث ينام الموتى

و البيت الـواطئ فـي سفح الأجران
كانـت نسـمات الليـل تعيـركم ريشـاً
ســـــــــحرياً

موعـــدكم كنـــا نترقبـــه
فـــي شـــوق هدهـــده الاطمئنـــان
حـــين الأصـــوات تمـــوت،
ويجمـد ظـل المصـباح الزيتـي علـى
الجـــــــــدران
سنشم طراوة أنفاسكم حول الموقد
وسنسـمع طقطقـة الأصـوات كمشـي
مـــــلاك وســـــنان
هـــل جئـــتم تأتنســـون بنـــا؟
هـل نعطـيكم طرفـاً مـن مرقـدنا؟
هـل نـدفئكم فينـا مـن بـرد الليـل؟
نتـدفأ فـيكم مـن خـوف الوحـده
حتـــى يـــدنو ضـــوء الفجـــر،
و يعلـــو الـــديك ســـقوف البلـــدة
فنقول لكم فى صوت مختلج بالعرفان

عـــودوا يـــا موتانـــا
ســندبر فـــي منحنيــات الســاعات
هنيهـــــــات
نلقاكم فيها، قد لا تشبع جوعاًن أو
تـــــروي ظمـــــأ
لكـــن لقـــم مـــن تـــذكار،
حتـــى نلقـــاكم فـــي ليـــل آت .
مرت أيام يا موتانا ، مرت أعوام
يا شمس الحاضرة الجرداء الصلدة
يـــا قاســـية القلـــب النـــار
لم أنضجت الأيام ذوائبنا بلهيبك

حتـى صـرنا أحطـاب محترقـات
حتـــى جـــف الـــدمع الـــديان
علـــى خـــد الـــورق العطشـــان
حتـــى جـــف الـــدمع المســـتخفي
فـــي أغـــوار الأجفـــان
عفـــواً يـــا موتانـــا
أصبحنا لا نلقاكم إلا يوم العيد
لمـــا أدركـــتم انـــا صـــرنا
أحطاباً في صخر الشارع ملقاة
أصبحتم لا تأتون إلينا رغم الحب
الظمـــــــآن
قـد نـذكركم مـرات عبـر العـام
كما نذاكر حلماً لم يتمهل في العين
لكن ضجيج الحاضرة الصخرية
لا يعفنا حتى أن نقرأ فاتحة القرآن
أو نطبع أوجهكم في أنفسنا، و نلم
ملامحكـــــــم
ونخبئهـــا طـــي الجفـــن .
يـــــا موتانـــــا
ذكـــراكم قـــوت اللقـــب
فـي أيـام عـزت فيهـا الأقـوات
لا تنســونا .. حتـــى نلقـــاكم

لا تنسونا .. حتى نلقاكم

عبدالرحمن الأبنودي

يامنه

والله وشبت ياعبدالرحمن
عجزت ياواد؟
ما اسرع..؟
ميتى وكيف ؟
عاد اللي يعجز في بلاده
غير اللي يعجز ضيف!!
هلكوك النسوان؟
شفتك مره بالتلفزيون
ومره وروني صورتك في الجورنال
قلت : كبر عبدالرحمن!
أمّال أنا على كده
مت بقى لي ميت حول!!
والله أنا خايفة ياولدي القعدة تطول
مات الشيخ محمود
وماتت فاطنة اب قنديل
واتباع كرم (اب غبان(
وانا لسه حية
وباين صاحية كمان .. وكمان!!
عشت كثير..
عشت إلـ حد ما شفتك عجزت يا عبد الرحمن
وقالولي .. قال : خلفت!!
وانت عجوز خلفت ياخويا ؟!!
وبنات كمان ..؟
امال كنت بتعمل ايه
طيلة العمر اللي فات؟
دلوقت مافقت؟
وجايبهم دلوك تعمل بيهم ايه ؟
على كلٍ..
أهي ريحة من ريحتك ع الارض
يونسوا بعض...
ماشي ياعبدالرحمن!..
اهو عشنا وطلنا منك بصة وشمة.

دلوك بس..
ما فكرت فـ) يامنه (وقلت (ياعمة)؟
حبيبي انت ياعبدالرحمن
والله حبيبي .. وتتحب
على قد ما سارقاك الغربة
لكن ليك قلب
مش زي ولاد الكلب اللي نسيونا زمان!!
حلوه مرتك .. وعويلاتك ؟
والا شبهنا ؟
سميتهم ايه؟
قالولي : (أية .. ونور(
ماعرفتش تجيب لك حتة واد ؟
والا اقولك:
يعني اللي جبناهم..
نفعونا في الدنيا بإيه ؟
غيرش الانسان مغرور!!
ولسة يامنه حتعيش وحتلبس
لما جايب لي قطيفة وكستور؟
كنت اديتهمني فلوس
اشتري للركبة دهان
أ با ي ما مجلع قوي يا عبدالرحمن
طب ده انا ليا ست سنين
مزروعة في ضهر الباب
لم طلوا عليا احبة ولا اغراب
خليهم .. ينفعوا .. اعملهم اكفان
كرمش .. وشي!!
فاكر يامنه .. وفاكر الوش؟
اوعى تصدقها الدنيا
غش فـ غش!!
اذا جاك الموت ياولدي
موت على طول
اللي تخطفوا فضلوا احباب
صاحيين في القلب
كأن ماحدش غاب
واللي ماتوا حته .. حته ونشفوا
وهم لسه حيين

حتى (سلام عليكم(
مش بتعدي من بره الاعتاب!!
اول مايجيك الموت ... افتح
اول ما ينادي عليك .. اجلح
انت الكسبان...
اوعى تحسبها احساب
ولا واد .. ولا بت
ده زمن .. يوم مايصدق .. كداب!!
سيبها لهم بالحال والمال وانفد
اوعى تبص وراك
الورث تراب
وحيطان الايام طين
وعيالك .. بيك مش بيك عايشين!!
يووووه يازمن
مشوار طولان..
واللي يطوله يوم عن يومه ياحبيبي
حمار!!
****
الدواء عاوزاه لوجيعة الركبه
مش لطوالة العمر
اوعى تصدق الوانها صفر وحمر
مش كنت جميلة ياواد...
مش كنت .. وكنت وجدعه
تخاف مني الرجاله
لكن فين شفتوني
كنتو عيال!!
بناتي (رضية) (ونجية) ماتوا وراحوا
وانا اللي قعدت
طيب يازمان!!
اوعى تعيش يوم واحد بعد عيالك
اوعى ياعبدالرحمن
في الدنيا وجع وهموم اشكال الوان
الناس مابتعرفهاش
اوعدهم
لو حتعيش بعد عيالك ماتموت
ساعتها بس.

حتعرف ايه هو الموت
اول مايجي لك نط
******
لسه بتحكي لهم بحري
حكاية (فاطنه وحراجي القط)؟
آ باي .. ما كنت شقي وعفريت
من دون كل الولدات
كنت مخالف...
براوي
وكنت مخبي في عنيك السحراوي
تمللي حاجات
زي الحدايه..
تخوي الحاجه وتطير.
من صغرك بصوافر واعره
ومناقير!!
بس ما كنت كداب
وادِيني استنيت بالدنيا
لما شعرك شاب!!
****
قدم البيت
اتهدت قبله بيوت وبيوت
واصيل هوه
مستنيني لما اموت
حاتيجي العيد الجاي
واذا جيت..
حاتجيني الجاي؟
وحاتشرب مع يامنه الشاي؟
حاجي ياعمه..
وجيت...
لا لقيت يامنه ولا البيت!!

حمدي منصور

شاعر الناس

أ.د. محمد أبوالفضل بدران

– جامعة جنوب الوادي

badranm@hotmail.com

1-1

"الشعر إخراج القول غير مخرج العادة" هكذا عرّف ابن رشد الشعر ؛فهو الفن الذي حوّل الكلمات العاديّة إلى أدبية النص المتمثل في الشاعرية، وربما كان تعريف ابن رشد أصدق مدخل نقدي لشعر الشاعر حمدي منصور الذي عندما نسمعه أو نقرؤه نفاجأ أن الشاعرية لديه سرٌّ من أسرارااللغة تخوّل له تحويل ألفاظها المستعملة بيننا إلى نص شعري مبهر ؛ بيد أنه يخدعنا حين نظن أن كلامه يخرج مخرج العادة ..... فكيف نتأمل صورة شعرية يقول فيها:

"ومين انت يا شبه محنيه

أنا بعت عقدي

و عقدي طوله بلاد

كسيت بجلدي الولاد"

إنه يكسو بجلده الأولاد ؛هذه المغايرة في تحويل اللفظ إلى دلالة أخرى تختزل الجمل والتراكيب, إنه يخيط جلده كسوة للأولاد, فى صورة تبدو صادمة لكنها معبرة عن حال البلد وحالة الشاعر.

قيمة الصورة الشعرية تتمثل فيما تؤثره في المتلقي، حيث تنقل الكلام عبر الانزياح الدلالي إلى ما قصده الشاعر من تأثير؛ ومن ثم فالصورة أخذ المتلقي إلى فضاء مغاير يشكّله الشاعر ويتخيله المتلقي مشاركا إبداع الشاعر في قصيدته ، لأن الشاعر لن يستطيع التحكم في خيال المتلقي حيال صوره الشعرية.

في مفردات حمدي منصور نلمح الناس والبيئة، ومكونات البيئة هنا ليست خلفية القصيدة بل هي أجزاء أساسية في النص ؛لأنه لا يرى الأشياء من برج عاجي بل يتعايش معها، يحس بها فتغدو البيئة إنسانا في القصيدة يرى ويتكلم ويحس ؛ فحمام البنّيّة والقُلّة والزقايب وصوت الحبوب والسواقي والرحايا – التي يراها عجلة الحياة التي تدوسنا– وريح البحر والطرحة والعتمة والديك واللقمة والجان والغيطان وستاير خيوط الشمس والرمال والحصى وطير البراري وبيت من طين والفروجة

صدر العريان؛ كل ذلك مفردات تتحرك في فضاء القصيدة لديه تشكّل أعمدتها ولا نستطيع تفكيك القصيدة دون فهم هذه المفردات ووضعها في الفسيفساء الشعرية التي ينظم عقدها الإيقاع وتنسجها الصور الشعرية البِكر.

2-1

في قصيدته "الليل"

"الليل

الليل جدارْ

إذا يدّن الديك

من عليه

يطلع نهارْ

و تنفلت من قبضة الشرق

الحمامة البيضه

ف لون قلب الصغارْ

آه يا حبيبتي يا أم

قصة مهفهفه

قلبي اللي مرعوش الأمان

لسه بيحلم بالدفا

و اللقما كلمة طيبه

و فيها الشفا

قلبي اللي قرّب يموتْ

لسه بيحلم بالبيوتْ "

تبدو الغنائية الحزينة ذات حضور طاغ في القصيدة التي تعتمد على المقاطع القصيرة والإيقاع السريع والتقفية المردوفة بما تضفيه حروف المد من آهات مكلوم، وليل حمدي منصور مختلف فهو جدار يؤذن عليه الديك فيولد النهار ؛ وأما قلبه مرعوش الأمان فمايزال يحلم بالدفء والخبز والمسكن ، لكن الشاعر مايزال متمسكا بالحلم:

"قلبي اللي قرّب يموتْ

لسه بيحلم بالبيوتْ "

من الواضح أن الغناء في شعره لبنة الأساس التي يأتي الإيقاع منبئا عنها؛ ويعتمد على التقفية المتغيرة في القصيدة الواحدة ، فنرى القافية خيط القصيدة التي ينتظم المعنى بسرها.

3-1

لدى الشاعر حمدي منصور يقين بالثورة ، ويتخذ من الفجر رمزا لها، يتغنى بالفجر ويراه قريبا

أنا بعشقك يا فجر

"يا فجر ياللي جاي

جاي من عذاب الفقرا

و من أنين الناي

و من أزيز الرياح

و من الغنا و النواح

أنا بعشقك في البدور

عيون بتعشق نور

عيون اهي بتدور

في كل عين سكين

و في كل عين وردة

و في كل عين مشوار

وفي كل عين سكة

و للشموس مدار

و للعذاب ضحكة

و بنعشقك يا فجر يا للي جاي"

الفجر حلم الشاعر الذي ينتظره لأن "الولد" سيجئ فيه ، هذا الولد الذي ينتظره المجموع آتيا على جواد الفجر المحمل بأنات الناس وعذابهم وأحلامهم وآلامهم.

وفي قصيدته الرائعة "امشير" نرى ذلك الشهر المحمل بالعواصف والرياح القوية والتغيرات المتوقعة، وكأن حمدي منصور يستشرف الثورة:

"سكي الببان

عليكي الأمان

عليا الأمان

وبرا امشير

زوابع وجان

ع الباب شتا

يهز السلوك

يبعتر ع الأرض

ورق البنوك ..... "

يوظف الشاعر الإيقاع السريع الذي يذكرنا بضربات القدر في سيمفونية بيتهوفن,هذا الإيقاع المتلاحق كضربات السكين المتتابعة يهز حروف القصيدة وصورها بين يدي المتلقي الذي يأسره حمدي منصور في صوره ومفرداته.

والخوف من المجهول يجعله يشفق على المحبوبة؛لكنه يطلب من المحبوبة أن تتجلى بالثورة:

" و امشير بره

يطوح في شجرةالغيطان

يهز السلوك والورق والعيدان

تطول الضفاير

وتصبح ستاير

ستاير خيوط الشموس

ف يناير والحرارير

توسع عنيكي

عليا وعليكي

و راسك تطول

النجوم والعمايز

و امشير يشيلك

يحطك يشيلك

يجيلك ويمشي

ويمشي يجيلك

ويندر بذور

الخصوبة في جيلك "

أمشير هنا هو الثورة التي تبناها حمدي منصور , ستقتلع جذور النباتات المتعفنة لتلقي بذور الثورة في الأجيال الجديدة؛ و يلجأ الشاعر في قصائده إلى محاكاة الأغاني الشعبية مما ينقل المتلقي إلى روح الشعب في رحم التلقائية الغنائية لتأخذ المتلقي إلى فضاء النص الشعبي التراثي ليستشعر أن ما يسمعه نص قد سمعه من قبل , لأن التراث قاسم مشترك بينهما , كأن الشاعر في أغنية لعبة قديمة شعبية:

" ساعديني و اساعدك

و اكسر سواعدك ..... "

إنه يخاف من "امشير " لكنه يتمنى أن يقتلع الأشرار؛ إن امشير يقرع الأبواب قرعا ، والشاعر:

"عنيا يمامه

وقلبى حمامة

وصدري نيران

و جوايا شارع وحارة وبيان"

4-1

يختزل الشاعرُ الشارعَ المصري كله قبيل الثورة؛ فالسكينة ظاهرة على وجوه الناس لكن النيران تشتعل في صدورهم، وهذا ما يصفه فى قصيدته "ع الباب شتا"

"و باطك ف باطى

مانيش احتياطي

وعمري ما اطاطي

وعمري ما اخون

وبصْدق ف قولي

وشعري وشجوني"

ربما كان هذا المقطع الشعري السابق معبرا عن الشاعر أصدق تعبير فلن ينحنى لحاكم قط ،ولن يخون نفسه وشعبه لأنه صادق في قوله و شعره و حزنه .

ويصف حال مصر في مقطع قصير:

"في الصدر خنجر دم

وفي الوشوش العدم

وفي العيون الخوف

وعدم الشوف

وع الخدود دمعة دم"

ديوان

"ما على العاشق ملام" ص25

ويصف الشعب الذي يناديه:

"يا شعب يا غلبان و يا طيب

باهديك قلبي و عيوني و دراعي

و ليك وللنشيد على درب الحياه ساعي

اوجاعك يا شعب هي أوجاعي

يا شعب يا عشقي و يا صبا

بـ اناديك ..... أناديك

و انا ف الفجر ديك

أنا المجنون

أصرخ واقول يا شعب

كله ف حبك يهون"

شعب الشاعر هم الفقراء الذين يعيش من أجلهم ،وهم طيبون لكنهم يحلقون في السماء فهو شاعر الناس :

"ناسي فقرا

فقرا

فقرا

يرضعوا من بز القمره

يطلعوا بنهار يبقوا شعرا

ناسي فقرا

فقرا

فقرا"

ديوان

"ما على العاشق ملام" ص 19

وإذا كان الديك مؤذنا بالفجر فالشاعر يؤذن لصباح الثورة بعد هذا الظلام "وياجي شروقك ف ساعة الغروب" و تنتظر مصر الفجر الذي طال غيابه

"يا فجر يا للي جاي

جاي من عذاب الفقرا

و من أنين الناي

و من أزير الرياح

و من الغنا والنواح....

و بنعشقك يا فجر ياللي جاي"

لدى الشاعر يقين بمجىء الفجر ,كم كنت أتمنى لو أن الشاعر أصدر هذا الديوان المخطوط "يا أرضى ياحبيبتى " مطبوعا قبل الثورة لأن إرهاصات الثورة وهبّة الجموع تكاد تكون مرئية أمام عيني الشاعر الذى صار أزرق الكنانة كزرقاء اليمامة فى قومها.

5-1

حضور الموت

يشكّل حمدى منصور الصور الكلية التى تعتمد على انزياح الدلالات

"الليل فينا نهار

قمره قصير العمر ف غنأنا

و ف رعشة الشغيلة جوه الطار

.....

اول ما بنشوف قناديل الديار

يعلا صوتنا بالغنا حتى سنه

يربطو لنا ع الطريق اليتامى والصغار

يعزمونا ع العشا و ع الفطار

و احنا أهوه

نجمه تهدينا لبلد

و ديار تاخدنا ف ديار

زي المحطة و القطار"

فى الصورة تبدو لوحة الرحيل , فالموت يطغى على قصائد حمدى منصور لكنه ليس قلقا من مجيئة بل يتعجب من قصر الحياة "قمره قصير العمر ف غنانا" هذا الترحال التائه يعبر عن فلسفة الشاعر تجاه الوجود و العدم ,فهو "ديار تاخذنا فى ديار زي المحطة والقطار"؛ والمحطة والقطار بداية الرحلة ونهايتها؛ فالتوظيف الدلالي للمحطة فى الأدب فى حاجة إلى دراسة :فهى مذرف الدموع للوداع ، والتلويح بالأيدى من الواقفين على أرصفة المحطة عندما يتحرك القطار و تنزل الدموع لأن القطار يتلاشى بعيدا غير آبه بالدمع والفراق ,وإذا كان القطار يحمل القادمين فإنه لا يرى القدوم سوى مؤذن بالرحيل ,ألم يقل الشاعر القديم:

"وما كان يبكينى اللقاء وإنما

وراء الملاقى لاح ظلّ المودعِ "

المحطة ملتقى الأحبة ومفرقة الأحبة أيضا ؛إنها نقطة التلاشى بين الشيئين ؛إنها رمز الحياة والموت , و الشاعر مهموم بالنقطة ؛ مهموم بالأشياء صغيرة العمر .

"قلبي من غير غطا

من غير لحاف

بردااان

ميت ومش لاقيين كفان"

ديوان "ما على العاشق ملام" ص 8

6-1

يتكئ حمدي منصور على التراث الفرعوني والديني ففي قصيدته "الولد" يوظف التراث الفلكلوري في انتظار الولد الذي لا يجئ

"لفي له الخرزة على قورته

تحفظه م العين

واطلقي ف وشه البخور

في صبيحة الجمعة

و ف ليلة الـ...اتنين

لففيه زاير

شربيه من مية البير الشريفة

ملسي بيده على توب القطيفه"

ديوان "ما على العاشق ملام" ص 23

ويعد الشاعر مظاهر الفلكلور التي تصاحب مولد الولد /البطل المنتظر، فالجميع في لهفة لمولده ، وأما الأم فهي ناعسة مرة وإيزيس مرة أخرى؛ ففي قصيدة "الأم" يقول:

"وانتي كما ناعسة

بتلفي ....تلفي

وما تكفّي في بلاد الدنيا

وف غمضة عين وف ثانية

بتدوّري على دوا وأطبا

بعيون غُرَبا

ولما مات أبويا بتلمي أشلاؤه م التربة

بعيون غُرَبا

يا أمي يا ناعسة،

يا صبر ياأيوب"

ديوان "ما على العاشق ملام" ص 39

هذا الاستدعاء التاريخي للشخصيات يحيل ذهن المتلقي إلى إيزيس وناعسة بكل معنى الوفاء والتحمل.

7-1

يبدو حمدى منصورمهموما بأناه ,والأنا هنا ليست الأنا العالية إنما هى "الأنا/المجموع " التى يعبر بها عن الشعب:

"إن كان بينام النجم
ف بطن الليل
عيني ما تغفل ولاتقفل
ولا تسكت جوايا المواويل
يجرى جوايا القول يجرى
زى ما يجرى الحافى
ف ساعة قيل
زي ما يرمح خيّال من تحته الخيل"

ديوان "ما على العاشق ملام" ص 11

تعبير الشاعر هنا عن مخاض القصيدة، فالقول يغرفه من بحر يجري القول على فيه كما يجري الحافي في ساعة القيلولة بحثا عن ظلال تقيه حرارة الشمس التي تكوي قدميه في تشبيه معبّر غير مألوف؛ كما قال ابن رشد: "الشعر إخراج القول غير مخرج العادة".

المصادر:

حمدي منصور: ما على العاشق ملام، ديوان شعر ، ط.الهيئة العامة لقصور الثقافة.(د.ت.)

حمدي منصور: يا أرضي يا حبيبتي، ديوان شعر ،(تحت الطبع)

محمد نصر يس

كما عرفتُه

د. محمد ابو الفضل بدران

(0)

" يا بومحمد نصْر

ياوادْ يا متربي

لك فى قليبى قصر

والقصر دا قلبي"

(1)

وكأن النيل ربّاهْ

وكأني قبل ما يولدْ كنت معاهْ

(2)

كان ما بينى وبين محمد نصر يس أشبه ما يكون بين المرء ونفسه ، يتحاور مع نفسه ، يفتقدها أحيانا ، وويقتفى إثرها أحيانا آخرى ..... حينما أتوه ابحث عنه ، أجد صمته ، ونظرته البعيدة التي يرى بها ما لا يراه الناظرون ، ابتعد عنه أياما وشهورا ، نلتقى لنكمل حكاية لما تتم بعد ، أشعر انه كان الاخ والاب ، لكن العجيب فيه ، وهو الأكبر سناً والارقى ثقافة وعلماً كان يُنزل نفسه منى منزلة المريد المتعلم ، وهذا هو سر شخصيته ، يبدو للناظر أنه جاء منذ عهد الفراعنة ، فى مشيته لا تلمح الانحناء إنه ناظر الى مكان بعيد ، إلى نقطة لا تُرى ، عندما جئت إلى قنا في 1977 ، ذهبت الى مكتبه بقصر الثقافة فى مقرها القديم امام النادى الاجتماعى ، كان محمد نصر يس منتدباً من وزارة الرى مديرا لقصر الثقافة ، استطاع ان يكوّن نادى الأدب ، جعلنا اعضاء به ونحن الطلاب ، كنا نفرح بمعيته ، فى جلسات النادى كان محمد نصر الصامت المراقب الذى يوجه الحوار الى نقطة يبتغيها ، كان يفضل ألا يجلس على المنصة ، كم تعلمتُ كثيراً منه ، كانت مكتبته الخاصة امتداداً لمكتبة قصر الثقافة ، نستعير كتبها وأحياناً لا نرجعها .

(3)

عندما كوّنّا نادى الأدب والفكر بكلية الآداب بقنا فى 1977 كان الكاتب والفنان محمد نصر يس يشجع الطلبة على الكتابة والابداع ، كان يحضر اجتماعات نادى الادب ،ويأخذ الادباء الى قصر الثقافة – حيث كان يعمل آنذاك – تدور المناقشات الأدبية ، يقترح ان يخرج الادباء من الجامعة الى القرى والنجوع ، تخرج أول قافلة تضم الدكتور الطاهر مكى والدكتور ابو الفتوح عبد الحميد ولفيف من آدباء الجامعة مضت القافلة الى " المنادر"حيث مضيفة العائلة ، جلس الناس فوق الحُصر تحت أشجار النبق، وألقى الشعراء قصائدهم ، تفاعل الجمهور ، كان محمد نصر يس صاحب هذه الفكرة ، مضت العلاقة بين الثقافه والجامعة فى أجمل صورة ، مؤتمرات وندوات مشتركة ، سافرت الى ألمانيا وعدت أتابع أخباره ، أصدر بعض الاعمال المسرحية التى تكتشف التراث من جديد، بحثَ فى السيرة الهلالية ، أخذ دور الشيخ الفاضل فى رائعة يحيى الطاهر عبد الله التى أخرجها خيرى بشارة ، كان محمد نصر يس المثقف الذى يكتب ويقرأ ويحاضر ، وينقد ويشجع الشباب الموهوب .

عندما دعوته الى مؤتمر بجامعة الامارات العربية تكلم عن العولمة الثقافية ، كان مقنعاً فى عرضه وبحثه ، كان مشغولاً بأفكار جديدة ، فى حفل تنصيب اتحاد الطلاب كلية الاداب هدى رئيس جامعة جنوب الوادى إليه درع الجامعة تكريماً لمشواره الثقافى وعطائه الجاد ، ولم أكن أتوقع أن يكون هذا آخر تكريم لمحمد نصر يس .

(4)

فى رحلة ادباء الاقاليم يبدو محمد نصر الدين شاهدا على هذه الأمسيات التى كنا نقيمها فى المنيا والاقصر واسوان وفى مدن الدلتا ، كان رحّالة ، يأتى لكى يمضى ، وهب وقته للفن والادب، أكتشفُ معه فن الخزف فى جراجوس ، اخذنى فى رحلة ومعنا بعض الاصدقاء الى جراجوس إحدى قرى مركز قوص ، فوجئت انهم يعرفونه ، قدموا إلينا أجمل فنونهم ، وتغدينا هناك وعدنا فى رحلة لا تنسى ، كنا نخطط لزيارة سيدى أبى الحسن الشاذلى ، قلت له لا تذهب حتى نروح معاً ، عن هذه الرحلة المؤجلة ، قال لى "فى حميثرا سوف ترى" ؛ هل كان يعني مقولة الشاذلي ؟ وأنه لن يذهب الى هناك وسأمضي وحيداً إلى بقاع ابى الحسن الشاذلى ..... مازلت احتفظ بتسجيل سجلناه سوياً لمولد سيدى عبد الرحيم القناوى ، وجّه الكاميراإلى وجوه تأتى الى المولد وتروح دون أن تترك اثراً فى طوفان البشر بمولد هذا العارف بالله ، كما نأتى ونمضى دون ان نترك أثراً فى هذا الكون .

تمشيت معه ذات ليلة بعد ان فرغنا من دفن صديق قلت له :

" كنا ثلاثة

تناقص العدد

تسيّد العدم

ماذا تكون عندما تصير واحداً

التفت إليّ وقال مستشهداً :

" لعمرك ما أدرى وإن كنت أوجلُ

على أينا تعدو المنية أولُ ؟"

(5)

أتمشى معه فى ربوع " العين " بالامارات العربية حيث جاء بدعوة الى مؤتمر بجامعة الامارات العربية ، تحدث عن العولمة .. الموضوع شائك لكن عرضه كان شائقاُ ،كان المؤتمر يجمع عدداً من المستشرقين والمستغربين ودارت المناقشات حول بحثه .. كان يجوب بالنقاش ويديره الى حيث الغول القادم " العولمة " .. سرنا مع الصديق حسين القباحى وأصدقاء مغاربة وإماراتيين وسوريين الى جبل حفيت ، انه أعلى جبل فى شبه جزيرة العرب ، كان منظر الغروب مذهلاُ وكانت مدينة العين تبدو من عل عروساً ترفل فى ثياب جمالها، أخرجت الكاميرا لأصوره وأصور مدينة العين ، ابتسم قائلاً : سنتصور للآخرين، الصورة ليست لنا ، انها إثبات للآخرين اننا كنا هنا .

قلت له : ربما نفقد الذاكرة ،وتبقى الصورة شاهداً " ابتسم واردف : " ربما "

(6)

عندما كنت فى ألمانيا ، هاتفته ، قال لى انه يمثل " دور الشيخ فاضل " فى رائعة يحى الطاهر عبد الله " الطوق والإسورة " ، لم أصدق الخبر ... كل شئ أصدقه الا ان محمد نصر يس يمثل ، كيف أقنعه خيرى بشارة بذلك ؟ هل عشقه لاعمال يحيى الطاهر عبد الله ..؟ هل الاغانى التراثية الصعيدية أغوته بالدور فراح يمثل مع عزت العلايلى وشريهان دور الشيخ الفاضل ؟ حتى الآن لا ادرى .. لكن الرواية وقصة الطاحونة التى دمجها المخرج فى الفيلم جعلتنى أوقن ان الرواية كنز سينمائى لكن محمد نصر يس لم يخلق لهذا .. كان محمد نصر يس هو الذى دل فريق الفيلم على اغنية :

" لمنا يقوم من نومه ..

مين يناوله هدومه ..

او يواسيه فى همومه ..

مين يا ناس يقول لى .. ؟

وبدا صوت فردوس عبد الحميد منتحباً وهى تردد هذه الاغنية واغنية القصب :

" القصب القصب

القصب عايز مَايَّة يا وادْ !! [يريد الماء]

سجل لى محمد نصر يس اغانى الفيلم كاملة أخذتها ، منحتها هدية جميلة للمستشرقين والأصدقاء

(7)

هاتفته ، جاء صوته على غير عادته ، قال لى إنه يشعر بألم .. ياه .. محمد نصر يتألم .. لأول مرة يشكو محمد نصر .. كان يتألم دون ان يجهر لكن هذه المرة يوشك الألم ان ينتصر .. هاتفنى درويش الأسيوطى سائلاً عنه .. تهربت من الاجابة؛ قلت له بخير .. ومضيت اليه .. جلس وهو متكئ على سريره بين ابنائه مروان ومصطفى وابنته مروة..... كان يبتسم ..ودّ ان يبدو كعادتي معه ، تدخل محمد صالح البحر فى الحوار ايضاً .. فجأة صمتَ و تطلّع اليّ محمد نصر يس بنظرة أعرفها ... نظرة الاخ الصديق .. اغمض عينيه . سكتنا جمعياً برهة ، وقفتُ مستأذناً .. هنا فتح عينيه وشدّ على يدى برهتين؛ ولمعت فى عينيه دمعتين !!

(8)

فى المستشفى ... بعد ان غادرت اخذوه الى هناك ..... ذهبت إليه فى اليوم الثانى، تحدثنا .. أسرّ إلي بكلمات لم أعرف قصده إلا بعد أيام .. كان يعلن الوداع،وهو يعرف مقولتى :

" لاأحبُّ الوداع

فهو مبتدا الألم "

(9)

ما خانه أحدُ

بل خانه الكبدُ

(10)

كنت حتى وقته ألوم جلجامش على هذا الحزن الأبدى على صديقه إنكيدو حتى صرته؛ ورحت أقرأ مناحات جلجاش بعد موت صديقه إنكيدو :

" لماذا لا يغور خداى ولا ينحل وجهى ؟

اليأس يملأ قلبى ، وجهى يشبه وجه من قام برحلة طويلة .

لماذا أقيم .. لا أهيم فى المراعى بحثاً عن الريح ؟

لقد أدرك الفناء صديقى .. أخى ....

صديقى الذى كان عزيزاً جداً علىّ، والذى تحمل المخاطر بجانبى ، إنكيدو أخى الذى أحببته

لقد بكيت سبعة أيام وليال حتى تمكّن منه الفناء ..

بسبب أخى أصبحت أخشى الموت"
(ملحمة جلجامش)

(11)

فى ليلة جمال الغيطانى بكلية الآداب بقنا كان المنظم والمحاور والقارئ المدهش ، فى سؤال يطرحه تبدو ثقافته العميقة وتواضعه الجم .

فى مؤتمر شعر العامية الأول الذى عُقد بكلية الآداب بقنا فى 1998 وحضره لفيف من الشعراء والكتاب والنقاد ، كان هذا المؤتمر فكرة محمد نصر يس ...

اخترنا الشعراء واحداً واحدا..... جاء عبد الرحمن الأبنودى أصدرنا مجلة المؤتمر ، أسميناها " باقتراح من الصديق عبدالحكيم القاضي "يامنة"

فى آخر أيام المؤتمر أدرك عبد الرحمن الأبنودى مجهودات محمد نصر يس فى إنجاح المؤتمر ، شكره وكتب له :

" يا بومحمد نصْر

ياوادْ يا متربي

لك فى قليبى قصر

والقصر دا قلبى ... "

(12)

يعيد محمد نصر يس انتاج السيرة الهلالية من منظوره الخاص ، إنه يقرأ ما لم يبح به الراوي في الأحداث ، يناقش فى براءة ركام التاريخ ، ويقرأ سطور السيرة من جديد ، يبدو فن الواو طيعاً على لسانه ، تبدو مسرحية " دياب ملكا " قراءة جديدة لدياب المنفى بأمر السلطان حسن كى يرعى البوش بينما يقتل الزناتى رجال الهلايل واحدا فواحدا ، أبو زيد مريض ، ورجال الزغابة والهلايل لا يقدرون على الزناتى خليفة ، هنا تبدو دواوين محمد نصر فى المسرحية ، ديوان الحرب وديوان الانتصار وديوان الملك؛ دواوين الحياة فى صيرورتها الأبدية وفنائها المولود من الوجود ، ووجودها المنتوح من العدم ، تبدو شاعرية محمد نصر فى واواته ومربعاته على خطى كتّاب الملاحم الكبرى ، إنه لا ينقل عن راو بل يقرض عن موقف وعن موهبة لم نلتفت اليها فى ظل تعددها القصصى والمسرحى .

هل تنبأ محمد نصر بالثورة في كتاباته؟ ولاسيما مسرحيته "علي بابا والعصابة"؟

يقتل الزناتى رجال الهلايل ، ويحزن الجميع ، وتقص النساء شعورهن حتى يُعدن النخوة والثأر فى قلوب الرجال ، يتقدم دياب ويقتل الزناتى ، وبمقتل الزناتى يبدأ المُلك للملك دياب ، إنه المنتصر لكن شخصيات محمد نصر يس لا تبقى على حال ، فالفناء يصيب المنتصر ،عما قريب " مأساة " سعدى بنت الزناتى "

تفيد بإيه الدموع

على فراق الحبايب ؟

يمزج محمد نصر يس العدودة بالنص المسرحي فى منتوج ذهنى يخفف غليانه مشهد الحب بين سعدى ومرعي الاسير لدى أبيها؛ تعشقه ويعشقها .

إن المستحيل عند محمد نصر يس يبدو مستحيلاً ، ويظل بالنبوءة أو الرؤيا مستحيلاً ، الاستحالة جزء من الواقع فلماذا نرفضها فى الإبداع ؟

تبدو شخصيات محمد نصر يس المسرحية شخصيات واقعية فى ملاحمه ، انها شخصيات قوية منتصرة لكنها مهزومة من الداخل ، يبدو النصر مظهراً براقاً خادعاً لكن سرعان ما يتجلى عن ثياب مخادعة ، هنا يظهر الانهزام ... ودّ ان يُسقط على مسرحياته واقعنا العربى ؟ ام أنها أزمة الانسان المعاصر الذى لايجد سوى العدم طريقاً ، إنه يجابه العبث الذى يهزمه ويحاول – عبثاً – أن يهزمه فى صحوه ونومه .

فى دياب ملكا التى أراها تمهيداً لاهم عمل كتبه محمد نصر يس وهو " مأساة سعدى بنت الزناتى " كتب محمد نصر عن الفارس العربى ، عن المواطن العربى المهمش الذى لا يجد طريقاً نحو حقوقه .

" ياعينى صبى دموعك

على زينة الرجال

حلى يا مراكب قلوعك

ودينى هناك فى الحال "

لقد حول محمد نصر يس " سعدى " الخائنة الجانية قاتلة والدها الى شخصية يشفق عليها المتلقى يتمنى ان تتزوج حبيبها مرعى؛ لكن دياب يقف لها بالمرصاد ، إنه يريدها أنثى لا محبوبة لأنه لا ينسى انها خانت اباها .

هذا التحول الدرامى الذى يديره محمد نصر يس باقتدار فى مسرحيته " مأساة سعدى بنت الزناتى " فهى الاميرة بنت الزناتى خليفة تساعد أعداءها على قتل ابيها، وتسوق الاعذار على هذا الفعل الشنيع ، مرة تعزوه إلى حقن الدماء ، وتارة الى تحقيق النبوءة ، وتارة اخرى الى الحب ، فحبها مرعى أعماها عن كل شئ ، لكن "دياب" لا يحفظ لها هذا الصنيع، فهى فى نظره الخائنة ، يراودها عن نفسها ، تأبى .. تحلم بمرعى الذى يجئ بعد ان اذاقها دياب الهوان ، يختلف الفريقان عليها (فريق مرعى المكون من السلطان حسن وابى زيد الهلالى ، والفريق الآخر دياب) الذى يفوز ويقتل سعدى فى النهاية امام الجميع بمن فيهم مرعى العاشق .. هنا تبدو جميع الشخصيات مهزومة فى الحرب والحب ، تبدو الشخصيات مقاتلة من أجل العدم ، فسعدى تتحمل ألم تذكر ابيها المقتول بمساعدتها ، وألم الأسر والهوان وألم العاشق الذى ضحت بكل شئ من أجله وخذلها، ودياب بن غانم يقاسى كره سعدى وهو الملك ، وابو زيد يقاسى الضياع ، والسلطان حسن الهلالى يقاسى خيانه العهود ، ومرعى يقاسى ضياع الحب والهيبة ، يتسيّد العدم فى المسرحية ويغدو المنتصر الأوحد . هل راى محمد نصر يس الواقع العربى فى هذه المسرحية ؟

هل رأى أبناء العلقمى فى سعدى ؟

" يا ملح طعمك مرار

وزاد عليا مراره

انا اتكويت بالنار

وصبحى غاب نهاره "

هكذا سعدى فقدت أباها وحبيبها ووطنها وحريتها ، هل سعدى هى الأمة العربية كما رآها محمد نصر يس ؟

" بعت بلدى تونس

وخنت ابويا الزناتى

شاله فى الدم غاطس

واطحن الملح يوماتى "

(14)

يا محمد وداعا !

badranm@hotmail.com

ملامح الحكي والشاعرية في القصة القصيرة
بدولة الإمارات العربية المتحدة
" نماذج مختارة "

في البدء كان الحكي ، تعبيرا عن شعور داخلي ، وبوحا عن مشاعر تبحث عن حروف تسير في معيتها نحو المتلقي ، وكان السرد آية التأمل ، وعنوان المعرفة ، وبوابة الإبداع ، وجمال التلقي .

والمتأمل في القصة القصيرة في دولة الإمارات العربية يلمح ما يلي :

أولاً :- إن القصة الإماراتية ليست بمنأى عن السرد في الخليج وبقية الدول العربية لا سيما أن سماوات الإبداع مفتوحة ومتاحة للتأثير والتأثر بين المبدعين العرب .

ثانيا :- أسهم وجود مبدعين عرب في الساحة الخليجية إلى تبادل في الروى وتقليد متبادل دفع بعجلة الإبداع الإماراتي السردى إلى نقطة انطلاق تجاوز الفترة الزمنية لرحلة الحكي الإماراتي .

ثالثا:- أدى تداخل الأجناس الأدبية إلى شعرية القصة لدى بعض كتابها ، ومسرحة أحداثها لدى البعض الآخر مما أوجد روحا أسلوبية جديدة في السرد .

رابعاً :- ظهور جيل جديد من كاتبات القصة الإماراتية يفوق الكاتبين منهم عددا يحاول أن يتجاوز فترة التحول التي أحدثها النفط في البيئة الإماراتية لأنهن لم يعشنها زمنا واعتمدن على ما حُكي لهن عنها من آبائهن وأجدادهن ، فلم تعد موضوعات الغوص والصيد وظهور النفط موضوعات رئيسية بل اتجهن إلى دواخل ذواتهن يبحن بالمسكوت عنه في المجتمع والمحجوب عن التداول في الإعلام إلا قليلا ، ورأين أن القصة القصيرة بشخوصها أقدر على حمل ما ناءت به أعوادهن النحيلة ورأين في أشخاص القصة أغيارا يأنسن بها ويحاورنها ، ويجدن فيها ملاذ البوح والشكوى .

خامساً :- طرحت بعض القصص محاكمة العادات والتقاليد التى لا يرتضيها العقل والنقل وإنما اكتسبت قداستها من التوارث القبلي ، فقد طرحن الموروث أمام العقل وباتت مناقشة هذا الموروث موضوعا يكاد يتكرر في القص الإماراتي ؛ وربما كانت مواجهته بعنف سمة من سمات الحكي الجديدة .

وسأطرح بعض الأمثلة على ما ذهبت إليه آنفا ، ففي قصة " رجل " لفاطمة الكعبي تعالج مشاعر الأنثى المضطربة بين قوانين القبيلة

ومفاتن الشهوة ، ولا تنسى وهي تخرج في منتصف الليل للقاء رجل تعشقه متحّدية أباها الذي توعدها بالقتل – أن تشكو هذا التفكك الأسرى الذي تحياه " لا أبالى بأبي " لأنه لم يهتم بي يوما ، وأمي لم أعرفها إلا صورة في برواز ظلّت تزين الحائط الأكبر في البيت ، إخوتي ؟ أشباح ملائكة ، أو ربما شياطين لا يجمعني بهم إلا خشب المائدة " (فاطمة الكعبي : مواء امرأة ص 8–9) تمضي لمقابلة حبيبها الذي أعد غرفة جميلة للقائها وبينما يفك أزرار قميصه تلمح دبلة زواجه من أخرى " اصطدمت أصابعي أزحت يده بأطراف أناملي ، لأتولى عنه تلك المهمة الشاقة ، وبينما يدانا في تماسّهما الحميم ذاك ، اصطدمت أصابعي بجسد امرأة خشن ، ذهبي اللون ، كان يحيط بُنْصره الأيسر بقوة ، فتراجعت مذهولة ، وكأن الخاتم لدغني ، واتسعت عيناي على آخرهما ، وسرعان ما غصّتا بالبكاء"

تماهت صورته مع جسد المرأة الآخر ، وتضخّمت تلك الحلقة الصفراء لتحتويهما معاً ، ووحشة المكان امتدّت لتضيّق عليّ أنفاسي ، وصوته وهو يناديني بدا غريباً مرعباً ، كان يرفع أصبعه أمامي وهو يجاهد ليخلع خاتمه إرضاءً لي ، لكنّ قامته بدت أقصر ، ودويّ ارتطام الخاتم برخام الأرضية لم أسمعه إلا عندما سحبت عباءتي وخرجت وأنا ألهث تاركة باب تلك الغرفة مشرعاً على رجل ، لا أعرف لماذا كان يصيح باسمي" (فاطمة الكعبي : مواء امرأة ص 8–9)9+7

ففاطمة تشرّح المجتمع وتحاول تعريته أمام الناس ليبصروا مرآة نفوسهم؛ بينما تعالج شروق محمد سليمان قضية التعارف عبر الإنترنت وخطورته ففي قصة " بنفسه " تتحدث باسم الشاب الذي يواعد فتاة في مركز تسوق " جلستُ انتظرها في ذاك المطعم في الطابع العلوي من احد مراكز التسوق التجارية ، وقد اخترت زاوية جانبية عن بقية الرواد ، وجلست بحيث أرى القادمين ، ولكن لا يمكن أن يرى أحد وجه من سيجلس أمامي .

أخيرا هاهي تدخل .. عرفتها من الحقيبة البيضاء الناصعة التي أخبرتني عنها ، والتي يزينها شعار شهير لواحد من المحلات التي تحتل أوسع مكان في هذا المركز التجاري ، وتطل منها وردة بيضاء من غلاف بلاستيكي شفاف لمحته من بعيد وهي قادمة تتهادى وهي تبحث عنى وقد أخفيت جزءاً كبيراً من وجهي لكيلا تعود أدراجها ،عرفتني ... وأنزلت الصحيفة وأنا مشدود إليها وهي تنظر إليّ بعينيها اللتين زادهما النقاب سحراً .

واقتربت منى وأنا في ذاك الركن القصى وما كادت تصل حتى هببت أحييها مادا يدى ومتلعثما بعبارات السلام " (شروق محمد سليمان : نحتاج إليك ص37)

ويحمد الله تعالى أن الفتاة التي التقته لم تكن أخته ، لكنه يكتشف في نهاية القصة مفاجأة غير سارة عندما يعود إلى البيت ويدخل حجرة أخته"جلس على مكتبها متأملا الصورة ، ثم فتح درج مكتبها الأوسط الذي يعرف أنها تخبئ فيه صورها ، فاستخرج (ألبوم) الصور الأولى وما كاد يفتحها حتى سقطت منه صورة شخصية على ظهرها ، فرأى فيها كتابة لم يترك لعينيه المجال لقراءتها فقلب الصورة ليثبتها في سجل الصور وإذا بعينيه تكاد أن تجحظا إذ يطالعه فيها وجه صاحبه ، عاد ليقلب الصورة وقرأ الإهداء المكتوب عليها موقعاً بتوقيعه إلى صاحبة الاسم المستعار التي كان صاحبه يغازلها عبر (الإنترنت) ويواعده بمعرفته هو دون أن يعرف هويتها"(شروق محمد سليمان : نحتاج إليك ص39)

وفي المجموعة القصصية لميثاء عمر " نبع الحياة " نجد الأنا المتكلمة تطفو في عناوين قصصها " سامحني " و " تاريخنا العالي " و" ماذا أرسم " لعائشة عبد الله محمد ففي قصة " أنت طالق " تعالج عائشة عبد الله مشكلة انتشرت في العالم العربي بصورة مخيفة وهي الطلاق لكنها تلوم الذات المتكلمة في القصة وترى أن أمها كانت أشد رؤية منه " لقد كانت نظرتك بعيدة يا أمي ، ثقبت شخصيته ونظرت إلى داخلها ، عرفت ما يطويه من أنانية وحب الذات ، لم تخدعك طيبته الظاهرة ، ولم يخدعك كلامه المغموس بالعسل ."

لقد رجوتني وبكيت من أجلي :

ابتعدي يا ابنتي عنه ، لا تنخدعي بضحكاته ولا تتجرعي كلامه المعسول .

نعم يا أمي رأيت الوحش الكامن في داخله ، أطلقه عندما وضعني في ذلك السجن الكبير ، وحبسني بين جدرانه الزاهية .

اليوم أتيت إليك ...

لأرتمي في حضنك بعد أن أطلق سراحي واعتقني بأحلى كلمة سمعتها أذناي ....

أنت طالق " (عائشة عبد الله محمد: ما بعد الطوفان ص 80-81)

سادساً : لجوء الكاتبات إلى " الالتفات " البلاغي في الحكي، وهذا يمسرح الحدث ، ويخلق حالة من التشويق؛ و تبدو ريا مهنا سلطان

البوسعيدي في مجموعتها القصصية " الرحلة رقم 8" مهمومة بالذات الإنسانية وهي تبحث في أعماقها بما يفاجئ المتلقي الذي يرى في طرحها فجاءة فجة لكنها سرعان ما تحتوي هذه الدهشة وتغلفها بأوجه بلاغية تسحر المتلقي ففي قصة " ورقات امرأة ماتت في السابع " تبدأ قصتها بقولها :

" اسمي نجاح سعد الناعب ، قررت أن أكتب وصيتي وأرحل .... وسوف أحاول لملمة شتاتي في تواريخ محددة كما لا تزال تحتفظ بها الذاكرة .. وإن خانتني هذه فهذا حال الدنيا ." (ص 39)

في قصة سارة النواف " القبور هل تنادي " ضمن المجموعة القصصية " حوار صامت " الذي يناقش خالد حفار القبور " يقترب خالد عن العمل ونظر حوله بحركة ساخرة : " نعم ... نعم .. أرى القبور الجاهزة .. أين هي ؟ .. هل ردمتها ؟ " .

تجاهل الرجل رائحة السخرية وأكمل " امرأة مسنة تزور قبر ابنها قالت لي : لا تحفر القبور وتتركها هكذا .. فهي شؤم ".

يعود خالد ويقاطعه "شؤم على من ؟ ... ربما عليها ".

يضحك ويكمل ساخراً : " من الأفضل لها أن ترحل ترتاح ". (سارة النواف : حوار صامت ص51)

تبدو التقنية الحديثة حاضرة في الحكي الإماراتي ؛ ففي قصة مسج لحليمة عبدالله نجد

" كل الأشياء حولك تُذكرك به "

عبارة وصلتني عبر مسج ، قرأتها وأكملت ما كنت عليه . بعد أسبوع وصلني مسج آخر من نفس الرقم . محتواه : هو يريدك . يبحث عنك . يحبك .

سرحت دقائق أفكر في تلك الكلمات من هو يا ترى ؟ لم أشأ أن أعيد الرقم لأعرف . وكا لعادة . تناسيت الموضوع .

في نهاية الأسبوع . ذهبت أشاهد ما وصلني عبر البريد من رسائل . ومن بين الأظرفة البريدية كان مظروف باللون الوردي . شدني إليه . من المرسل يا ترى؟"

من قصة سأعيش (حليمة عبد الله الرولي :سأعيش ص 76)

يبدو حضور الموت قويا في بعض القصص القصيرة , والموت هنا بمعناه الفلسفي كما نجد لدى مريم سعيد المري في قصتها " بين لحظتين " التي نرى فيها

أثناء العزاء :

اقترب منه أحمد حازم وأخذ يده بين يديه وقال بعد أن زفر أنفاساً ساخنة:

البقاء لله

حاول أن ينتزع يده من هذا الحازم وقرر أن يرفض موتها .. سيرفضه إلى الأبد. وكاد أن يرد :

– لم تمت .. كل ما هناك أنها ذهبت لعالم آخر .. وهى حية الآن أكثر منى ومنك أيها الأحمق" (ص43)

تتفاوت الملامح بين المبدعات صالحة عبيد وفاطمة الكعبي ومريم المري وسارة الكندي وريا البوسعيدي وعائشة عبدالله وحليمة الرولي وشروق سلمان وأحمد أميري وميثاء عمر وفاطمة المزروعي و روضة البلوشي ومريم الساعدي وغيرهم,

ويبقى الحكي الإماراتي رافدا من روافد الإبداع العربي.

المرأة في شعر الإمارات

احتلت المرأة الجانب الأكبر في شعر العالم ولا سيما في الشعر العربي قديمه وحديثه، وأود أن أؤكد بادئ الأمر ذي بدء أن شعر الإمارات هو فرع مثمر من شجرة الإبداع العربي لذا فإن المرأة لم تأخذ شكلا جديدا فيه بقدر ما تجسدت صورة المرأة في شعرنا العربي، وسوف أتناول بعض الشعراء كأمثلة على ذلك وقد جاءت المرأة في التوظيف الابداعي في عدة صور منها: المرأة المعشوقة والمرأة رمز الوطن ، والمرأة رمز للحرية ورمز للنضال والشهادة أو توظيف المرأة كرؤية خاصة للتراث وانعكاس الأنا أو جزء من تشكيل صورة ابداعية تحتل المرأة فيها حيزا كبيرا قادرا على مزج الصورة فنيا فالمرأة المعشوقة: وهي التي تأخذ مشروعيتها من التراث الجمالي للمرأة العربية ذات الحسن المدهش والجمال الأخاذ فهي بعيدة مهوى القرط، تتضوع مسكا، تمشى الهويني، والشاعر أمامها الذليل في محراب الحب فهو يذوب عشقا ويكاد يتلاشى، أي أن الصورة التراثية للمرأة موجودة لدى بعض الشعراء بدءاً من خلفان بن مصبح (1923–1946) في قصيدته ركوب البحر:

بدت تختال في حلل الجمال

وجاءت بالزيارة والوصال

تبدت كالقضيب على كثيب

وجلت كالمنيرة في الليالي

فقمت أداعب الوجنات منها

وألثم ثغرها حكي اللآلي

ومن خلق العفاف لنا رقيب

بطهر الحب في حسن الخلال(1)

(1) ديوان خلفان بن مصبح ص 81-82.

وكذلك بعض قصائده الأخرى ومرورا بالشعراء الشيخ صقر القاسمي حيث المرأة الساحرة الجمال، ذات الحياء

"كالوهم .. كالطيف الشرود

كبسمة الفجر الغرير

ويد الحياء كست محياها

الجميل مذاب نور

خطرت فألهبت القلوب

بقدها البض النضير

ومشت على هام النفوس

تهد فلسفة الغرور.

ومن الممكن أن نطلق على الشاعر سلطان العويس لقب " صريع الهوى" فالمرأة لديه لا تتغير، إنها المعشوقة التي يتمناها العاشق وتتدلل عليه حينا وتمن حينا آخر، إن هذه الصورة التراثية تتجسم في قالب واحد ندر أن يتغير ، إنها رمز الجمال الكامل، والجسد المثالي، والعيون القاتلة، والشفاه الغاوية، والشاعر رمز قيس الذي يطوف الكون كله باحثا عن ليلاه فيراها ويكون الحب رسولا بينهما عندما تتلعثم الشفاه تختلف اللغات

"وذات قد كأن الله قال لها

كوني الجمال فكانت فوق ما وصفوا

قالت تحب؟ فقلت الحب منتجعي

له أغني، وفي مثواه أعتكف"(2)

والمرأة المثال المطلق والتوقد الجميل، والحسن المدهش يقف أمامها الشاعر متغزلا، متأوها بل يلتمس لك عذرا إن فتنت بها:

"أنا لا ألومك إن فتنت بحسنها

بعض الجمال به فتون مطلق

فرحي بها فرح السجين بلحظة

---

(2) ديوان سلطان العويس ص 162.

عند اللقاء بأهله إذ يطلق(3)

ولا يتذكر الشاعر المدن إلا من خلال حب نسائها ، فجغرافية المدن ذاهبة إلى النسيان أما حسان الأمكنة فهن الخالدات في ذاكرة الشاعر وهذا ما نلمحه في قصائده: " ياليالي الشام" و"مغربية" و " ريو دي جانيرو" و" لبنان"

وقد أشار الدكتور وليد خالص في مقدمته لديوان سلطان العويس إلى استغراق الحديث عن المرأة "والحب أغلب صفحات الشعر بحيث صار معلما بارزا من معالمه" فالمرأة لديه ذات حضور قوي في شعره تمثل المرأة المعشوقة عند إبراهيم محمد إبراهيم معادلا للواقع فالحب مقبور قبيل ميلاده والأحلام موءودة ولما تتشكل بعد

نجلاء لا تتهربي

فلقد نقشت على جبين الشمس رسمك

إذ نقشت قصائدي

ورسمت هامة مذهبي

وكتبت في عين الزمان، قصيدة الأوطان

يحيابها قلبان مقبوران

حكم الزمان عليهما

أن يصبحا قبرين يرتجفان" (1)

والمرأة لدى أحمد محمد عبيد هي المحبوب ، ولقد لحظت أنه ومعه مجموعة من الشعراء يذكرون المرأة المحبوبة فيطلقون عليها " المحبوب" وهذا شئ سمج امتداد لعصور مرت بخيرها وشرها ومن الأحرى أن يعاد للغزل صدقه وأن يبرأ من التبرؤ من مخاطبة الأنثى كذكر .

لكن يظل للمرأة في شعر أحمد محمد عبيد حضور المعشوقة المتدللة والمسيطرة أيضا:

" يا حبيبي قاتل الله الهوى

---

(3) ديوان سلطان العويس ، ص167

(1) ديوان صحوة الورق ص 27-28.

ملك القلب زمانا فغوى
ثم عادت ذكريات أشعلت
في حنايا القلب نيران الجوى
أيها القلب الذي قد لعبت

فيه آهات وجرح ونوى
أرحم اليوم حبيبا طالما

رشف الحب، وبالحب اكتوى(2)

وكذلك في قوله :
أدنو إليك وكل أشعاري دموع وإنسكاب
ومرارة من سلوة القلب الحزين به عذاب
تبدو رؤية حبيب الصايغ للمرأة رؤيـة مغايرة حيث يطرح إشكالية المرأة في صورة جادة بيد أنها تحمل التهكمية والممازحة أحيانـا، إنـه لا يجيب عن تساؤلاته قدر ما يفجؤنا بها وليس في ذهنه البحث عن الإجابـة بل يهدف إلى البحث عن تساؤلات مهمشة
"وشوشني البحر في أذني
قال لي: المرأة نصف المجتمع
ولم تعجبني فلسفة البحر
فالمرأة ليست نصف المجتمع
ولا ثلاثة أرباع المجتمع
وليست المجتمع كله
كما أن المرأة ليست المجتمع ونصف
المرأة هي المرأة
ولي أن أستغني عن البحر
واكتفى بالسماء" (3)

---

(2) ديوان مع الليل ص 45.

(3) ديوان غد ص 65-66

إن طرح حبيب الصايغ لوضع المرأة في مجتمعاتنا العربية يفرض علينا التفكير في هذا الوضع المزري في أحاين كثيرة حيث ينهشها الفقر أحيانا والوأد المعنوي والتهميش في أحايين كثيرة.

لكن حبيب الصايغ ما يزال يحبها ويفجؤنا بهذا الحب الذي يختزل وضع المرأة في المجتمع:

أحبك أيتها المرأة الصعبة

التي نحاول عبر القرون

أن تكون في طولي

دون أن تتوكأ على كتفي

أو تختفي في مصعد كهربائي

وأن تكون أطول مني

دون أن تلبس حذاء الكعب العالي؟(1)

ولا يخفي علينا هذه النغمة التهكمية والمشاكسة في كتابات الصايغ.

وتبقى إشكالية المرأة ماثلة أمام أعيننا في الشعر، إذ أن الجانب الجمالي الذي يستهوي المرأة ليس بالضرورة هو كل المرأة ، قد يكون الجانب الأوضح أو الجانب الشكلي لكن كيف ننظر إلى المرأة ككيان بشري بكل آماله وآلامه، هذا ما نفتقده في معظم أدبنا العربي الذي جل المرأة وقدرها كمعشوقة تميزت عن الجميع لا لكونها امرأة بل لأن الشاعر قد عشقها.

(1) ديوان غد ص 79-80.

المرأة عند عارف الخاجة هي المسافة التي تشكل الرؤى الواقعية للوطن .. إنها التاريخ الذي من خلاله نقرأ الماضي فلا يتبقى لنا في الحاضر سوى المستقبل، إنها القراءة المتأنية للتاريخ العربي ولأوجاعه وآلامه:

"تطلين من جبهة النسمة العابرة

ومن أغنيات الماخي

ومن ضحكة الجمرة الثائرة

تطلبين من عر قانا الجليل

لنمشي نفس الطريق الجليل"(1)

ويمتد هذا التوظيف الابداعي إذ يرى الخاجة الإمارات وهي تتجسم في شكل حسان، فأبوظبي:

فرشت إلى ضفيرة فبدا

وجه الوجود يزينه السهد

هيا افتحي عينيك آنستي

فتحتْ فإذ بالوجد يشتد

مالي سوى قلب يصاحبني

رفقا به قد كده الكد(2)

وهو توظيف قديم يرى كل شئ جميل مرتبطا بجمال المرأة وحسنها.

ويتخذ ظاعن شاهين من ليلى المخلصة التي ستنقذه من غياهب الظلمات والعماء رمزا للتغير والتطور والارتقاء.

"خذي قلبي

ليأتي النور يا ليلى إلى عيني.

وأنظر من خلال العالم العاري

هناك.. هناك

أنا المسحوق في أرض تطاردني

وحلم بات في عيني يحاصرني

---

(1) ديوان صلاة العيد والتعب ص 35.
(2) ديوان صلاة العيد والتعب ص 74.

وذاك الجرح يا ليلى يعشش في مراسى الروح، يلسعني
ينادي من خلال العالم المفجوع أيامي !!"(3)

المــــــــــــــرأة الشـــــــــــــــــــــــهيدة

ينظر مانع سعيد العتيبة إلى سناء محيدلي التي فجرت نفسها وسط أعدائها من أجل الوطن والشهادة على أنها رمز المرأة العربية التي أخرست الخطباء والبلغاء:

" فلتصمت الأبواق والخطباء
قد آن أن يتكلم الشهداء
يا أمتي شعري رسول شهيدة
غنى ليوم زفافها الشعراء
كانت عروس بلادها لما مضت
في موكب يرنو له العظماء
جعلت وصيتها لدى أمانة
فأصابني يا أمتي الإعياء"

إذا كان الرجل الشاعر قد وجه جل قصائده نحو المرأة عاشقا لها أو واصفا لها فإن من العجب أن المرأة الشاعرة قد اهتمت بالتعبير عن الرجل ، ونسيت في خضم اهتماها به أن تتحدث عن نفسها لكنها حين خلت بنفسها رويدا جاءت قصائد البوح والانشطار الذاتي، وتحولت قصائدها إلى لسعات تصب جام غضبها على الرجل بل على المجتمع بأسره.

وربما لو أخذنا قصائد صالحة غابش كأنموذج لعرفنا إلى أي مدى تعاني المرأة داخليا ، فمن البداية تفاجئنا في ديوانها.. "المرايا ليست هي" قائلة في صفحته الأولى " أما الإهداء فلا أجرؤ عليه!" فهل ستأتي القصائد كذلك في دائرة المواربة والإخفاء أم أنها ستجرؤ أن تبوح في قصائدها بما لم تستطع أن تبوح به في الإهداء.

تعلي صالحة غابش من شأن الحب وتراه النقطة الارتكازية في قصائدها وتحاول أن ترتد إلى ذاتها باحثة ومنقبة عن ذلك الحب كقيمة وكصلاة، والحياة كانتظار لهذا الشوق.

---

(3) ديوان آية للصمت ص 69-70.

"يغيب المساء

وراء سديم انتظاري

ويتركني في بقاياه

أشعل صمت افتقادي

إليك"(1)

ثم يتحول هذا الانتظار إلى تساؤل عدمي يواجه المجتمع عندما يتسلل إلى ذواتنا سائلا ومتهما في آن واحد:

"لماذا لا نجيد الاحتفال

إذا التقينا صدفة

ذاك الفتى المتأنق الضاحك

لماذا ندخل القاعات منفردين

ونحضن بعد ذلك بين أذرعنا

غريبا رأسه معصوبة

تنهار فوق صدورنا" (2)

تتبقى صورة المرأة كجزء من تشكيل صورة فنية ابداعية قد لا تسوق المتلقي نحو معنى مقصود لكنها ستأخذه – بكل تأكيد – إلى غياهب التشكيل حيث لا يستطيع أن يعود إلى أدراجه بل عليه أن يفكر في جزيئاتها عله يستنبط منها ما لم يوده المبدع

في ديوان " ليجف ريق البحر" لثاني السويدي يقول فيه"

" بحثت كثيرا

في أسواق الماء

تعثرت الشوارع بقدمي

اندفعت

وكان البحر هاربا في زيك

وألوان المساء

ترقص مع أنسجة السحب

وأقول لحبيبتي: يا صاحبتي !!

---

(1) ديوان المرايا ليست هما ص 14.
(2) ديوان المرايا ليست هي ص 14-15.

هل أستلقى على عتبة جذعك المائل
وأرش دفاتري
ليوم ناشف
لا أدرى
نومك يتسلل لبيتي الصغير
يتحدث، يهذي أحيانا
يحرجني أحيانا
والأشجار
تنتظرك
معصوبة الرأس "(1)

يحدد أحمد راشد ثاني وجوده من خلال المرأة فإذا ضاعت تلاشى
"لا أمي أم كي
أعود
ولا لي
أخت الزهرة
ولا أخ بحر القدرة
فأنا طائل لا جدوى
بئر بلا سلوى
إذ لا حائل بين الماء وبين اللهب سواي"(2)
وفي محاولته إضفاء الأنوثة المعنوية على الأشياء يتبقى لديه القدرة على التشكيل إلا أنه سرعان ما يجعل من هذه الأنثى كل شيئ:
"وجعلتك أمي
وجعلتك وطني
وجعلتك نورا قدسيا في حلمي
ووضعتك في قلبي
قلبي

---
(1) ديوان ليجف ريق البحر ص 47-48.
(2) ديوان "حيث الكل".

وفطرتك ألقا

من ظمأي

أنزلت على الحب

فأنزلت إليك سماء الأبد"(3)

هل هو التوظيف الجديد للمرأة بحيث يغدو الوطن جزءا منها ويغدو الوجود كله نابعا منها وهنا يدور الفلك الابداعي في معيتها. ورغم ما قصده أحمد راشد ثاني من إدهاش المتلقي إلا أن المتلقي يسير في ركابه باحثا عن المعنى يلتقطه حينا ويفوته أحيانا.

في تشكيل صور متعاقبة متداخلة تأتي صورة المرأة / البلد في قصيدة ديك العدم لعبد العزيز جاسم:

"ولكنني حملت قمرا على ظهري

وتعقبت بلادا تروغ مني

هي، في كل مرة، كانت تزوغ مني، وأنا كنت ألم سرابها إلى صدري مثل عاضد الأذى، وأتنفس

شادا أزري بها، شادا الأيام وما بعدها .. وكنت ألوب في كظتها عاشقا، مندفعا ، وغير متعظ بما أرى

أقربها مني مثلا، أسميها ، ثم أوجد لها لسانا يسميني أصنع لها مركبا، فسلة ، مرأة أو كرسيا لصمتي وغبني معا وكنت أناديها وأركض ما بين الدروب، يدي على قلب وقمري على ظهري مجتازا الوديان، والجبال، وغابة العواصف العتيقة، والموت يتبعني.."

(3) ديوان "حيث الكل".